

حياة الفنان فتحي محمد

الطبعة الاولى

دمشق

١٩٦٢

هَدْيَكُمَا

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

حياة

الفنان فتحي محمد

١٩٥٨ - ١٩١٧

الدكتور سلمان قطاية

مركز الصبح والنشر

الإشراف على الطباعة

السلسلة الفنية

~~956.9~~
~~Un 21~~
~~2-3~~

956.9
SY 18
2-3



« واجبي نحو أمتي ،
وشرقي كمواطن عربي
رفعته أموال أمته الى
مستوى فنان ، يحرمان
علي كسب العيش عن
غير سبل الفن الصحيح »
« فتحي محمد »

الهدايا

إليك يا فتحي ، فقد كنت كالجندي الكشاف الذي يتقدم
الزحف ليكون رائداً للطليعة ، فلا عجب أن تسقط شهيد
الهدف العظيم الذي رسمته لنفسك ولفنك ، وأنت في غمرة
الكفاح الكبير ، بعد أن افتتحت طريقاً جديدة .

إليك أهدي هذا الكتاب .

أضعه بيد واجفة وقلب خاشع ، كباقة زهر صغيرة على
قبرك ، هدية من صديق ومعجب بفنك .

مقدمة

عندما يفسح المجال لتخليد المبدعين في أمة من الامم ،
فان ذلك يكون مظهرا من مظاهر النهضة الحقيقية ، ووسيلة
قوية لبناء تاريخ جديد ، حافل بالبطولات •

وفي هذا الكتاب قصة فنان ، عاش بيننا ، وعشنا معه ، وما
كنا لنصدق أن يخترمه الموت وهو في ريعان شبابه وعزمه
وابداعه ، ولكنه مضى تاركا لنا من آثاره ما يدفعنا الى الاعتقاد
بأن الموت قادر على الانتصار على الجسد الضعيف ، ولكنه
ليس باستطاعته أن يهزم قوة الانسان المبدعة التي بمقدورها أن
تخلد متحديّة الفناء •

وليس ما قامت به وزارة الثقافة والارشاد القومي عندما
أنشأت متحفا في حلب لاعمال فتحي محمد ، الا دليلا على أن
الاعمال الفنية الخالدة تفرض نفسها على الظروف المحيطة ،
لكي تأخذ مكانها في التاريخ •

ولا نستطيع أن نجحد ما يقتضيه الاهتمام بالكفاءات من استعداد مخلص للبحث عن المؤهلات والكشف عن الامكانيات الخلاقة .

ولقد استطاعت الوزارة عند اقامتها مثل هذه المتاحف التذكارية أن تؤكد استعدادها لرعاية وحماية وتخيل أصحاب المواهب الممتازة . وليس هذا الكتاب الا مظهرا من مظاهر هذا التأكيد الى جانب المظاهر الاخرى العديدة .

سلمان قطاية

الفصل الأول

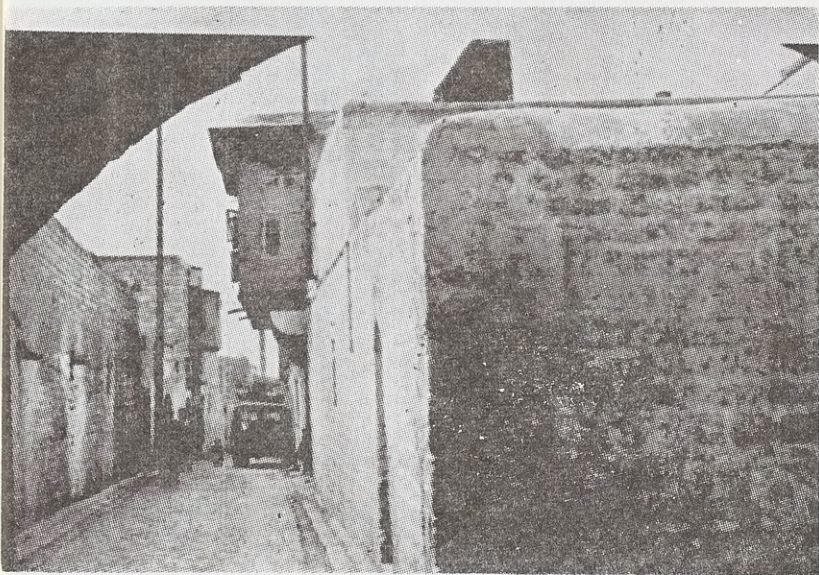
طفولة الفنان ونسأته

« الفن هو أسمى رسالة للإنسان
لأنه مظهر لنشاط الفكر الذي
يحاول أن يفهم العالم وأن
يعيننا نحن بدورنا على أن
نفهمه » •

أوغست رودان

قامت نهضتنا الفنية الحديثة على سواعد فنانين ، كان لهم
الفضل في حمل مشعل الفن ، والعمل بجد وصمت في سبيل
بناء صرح شامخ للفنون ، يليق بنهضتنا الفنية وبامتنا العربية •
ومن هؤلاء الفنانين : فتحي محمد •

ولد فتحي محمد قباوة في اليوم الثاني من شهر تشرين
الاول عام ١٩١٧ ، في حي المشاركة (شارع الشماعين) وهو



شکل رقم «۲»

حي شعبي (شكل رقم ٢) من أحياء حلب القديمة في دار متواضعة ، كانت هي كل ما استطاع والده محمد العامل البسيط أن يحصل عليه من كفاحه الطويل في سبيل العيش • وكانت البلاد آنذاك تزرع تحت كابوس الحرب العالمية الاولى ، فالجاعة منتشرة ، والمستعمر التركي يسوق الشباب العربي الى حرب لا تخصصه • وكان حسن أكبر أولاد محمد قباوة ، قد سبق هو الآخر الى الاستانة كضابط احتياط • وأرسل حسن الى أمه ، يوصيها بتسمية الطفل الذي ستجبه باسم (فتحي) وهو اسم أحد طيارين من الجيش ، استشهدا قرب دمشق (١) •

ولم تشأ الام أن ترفض رغبة ولدها البكر رغم أن زوجها محمد كان يفضل اسم (جهاد) •

وانقطعت أخبار حسن • وقيل انه سرح من الجيش ، وقتل في طريق العودة • ولم يجاوز الخامسة والعشرين من العمر (٢) •

وكانت فرحة الوالدين بولادة فتحي كبيرة ، وساهمت بالتخفيف من ألمهما لفقد ولدهما حسن •

(١) عن شقيق الفنان : عبد الجليل قباوة •

(٢) عن فؤاد نقشبندي زميل حسن قباوة في الدراسة والجيش •

ولم يلبث أن توفي الاب محمد البالغ من العمر ثلاثة وسبعين عاما •• تاركا زوجته وأولاده يواجهون قسوة الحياة • وكان فتحي لم يتجاوز عمره الثلاثة أشهر • وازداد تعلق الام بطفلها ، وأغدقت عليه فيضا من حنانها ورعايتها • ومضى الصغير ينمو محاطا برعاية والدته وحنو أخته زكية وشقيقه عبد الجليل الذي تابع دراسته ، وصار معلما في مدرسة ابتدائية •

وكان ثمة فاخورة بسيطة بجوار دارهم ^(٣) • وكان فتحي معجبا بمنظر العمال المنكبين على آلات خشبية تدور بحركة رتيبة موزونة ، وقد قبعت فوقها كتلة من الطين ، يداعبها العامل بأصابعه ، فتستدير في مكان ، وتضيق في مكان آخر ، واذا بها بعد لحظات آنية فخارية • وكان فتحي يقضي الساعات الطوال يحرق الى هذا المشهد الغريب ، ثم يأخذ بعض الطين محاولا أن يصنع منه دمي صغيرة ، يتسلى بها •

وذات يوم دخل فتحي الى المطبخ وكان عمره لا يتجاوز السادسة ، فوجد أمه منهمة في اصلاح الموقد العتيق الذي كانت تطهو عليه الطعام ، وكان هذا العمل المضمي يضايقها ، وسرعان ما استيقظ حب الابداع والخلق في أعماق الطفل

(٣) ما تزال الفاخورة في الشارع نفسه •

الفنان ، وبدأت أصابعه تتحرك بقلق ، ثم تقدم من الموقد ،
وأصلحه ببراعة ، أثارت دهشة الام واعجابها •
وظلت هذه الحادثة عالقة بذاكرة فتحي ، وعندما شب
وكبر ، وسافر الى روما • صنع موقدا ، وجعله رمزا لعمله :
شعلة متقدة من النور ، تشر الضياء والحكمة حولها انى كانت
وكيفما استطاعت • ثم حفر عليه أسماء أصدقائه وذويه ممن
أحبهم وأخلص لهم ، وكان في المقدمة اسم أمه : فريدة (١) •
وتمر الايام ، ويمضي فتحي قدما في دراسته ، وبدأ
يستعد لاجتياز فحص الشهادة الابتدائية ، ولكن ثمة مفاجأة
حزينة كانت بانتظار فتحي • فعندما اقترب وقت الفحص ،
ولم يبق لاوانه سوى القليل ، سقطت أمه صريعة المرض ،
ولم تلبث أن توفيت •

وتألم فتحي للمصاب ألما شديدا غير أنه استطاع أن يصمد
أمام القدر القاسي ، وان ينجح في الفحص نجاحا باهرا ، استحق
عليه جائزة الدراسة الثانوية المجانية ، ورغم هذا النجاح الا أن
شيئا عزيزا وكبيرا قد أخفى من حياة فتحي لموت أمه ، فلقد
حز فقدها في نفسه ، وطبعه بطابع الحزن والالام حتى آخر
أيامه • وكان فتحي منذ ذلك الحين يبدي ميلا واضحا للفنون ،

(١) الموقد موجود في متحف فتحي محمد في حلب •

فدفاثره ملائى بالرسوم ، وحاشيات كته تغص بصور الوجوه •
وعندما دخل فتهي مدرسة التجهيز (أي الثانوية)
وجد فيها جوا ملائما لتنمية ميوله وصقل موهبته على يدي
الاستاذ منيب نقشبندي الذي كان آنذاك مدرسا للرسم ، كما
كان زميلا وصديقا لحسن شقيق فتهي ، فاعتنى منيب بتهي ،
وشجعه كثيرا على المضي في طريق الفن حتى النهاية ، اذ لمس
فيه دلائل الموهبة الحقة ، وعلائم الفنان المبدع • وعلمه محبة
الطبيعة ، والنقل عنها ، ومنحه في عام ١٩٣١ العلامة التامة
للرسم للمرة الاولى •

وكانت البلاد وقتئذ تجتاز مرحلة هامة من نضالها
السياسي اذ نكث الاجنبي الغادر بوعوده للشريف حسين ،
ودخلت الجيوش الفرنسية بقيادة الجنرال غورو أرض الوطن ،
فكانت معركة ميلون (تموز ١٩٢٠) التي انتهت بسيطرة
المستعمر الفرنسي • ولكن الشعب السوري ما لبث أن ثار
ضد المستعمرين الفرنسيين (من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٧)
وحاول المستعمر أن يوجد حكما دستوريا عميلا ، ولكن
المواطنين قاوموه ، وقام الطلاب باضرابات متكررة مهاجمين
العملاء من الوطنيين •

وراح الفنان فتحي^(١) يرسم على الجدران رسوما نقدية
ساخرة لمسؤول كبير هو صنيعه للاستعمار •

وأمر مدير المعارف بالوكالة بطرد ستة وثلاثين تلميذا ،
وحرّم فتحي من دراسته المجانية •

ولم يجد فتحي من يؤازره ماديا ، ويدفع عنه مصاريف
الدراسة ، فاضطر الى ترك المدرسة مرغما ، وحرّم من مستقبل
باهر كان ينتظره ويحلم به •

وهكذا فقد وجد فتحي نفسه فجأة وجها لوجه مع الحياة
المرّة بكل مصاعبها ، ولا يملك سوى أحلاما وآمالا محطمة •

وأضى ردحا من الزمن لدى شقيقه عبد الجليل ، يرسم
حينا ، ويداعب الطين والجص حينا آخر • وارتأى عبد الجليل
أنه لا بد أن يجد لفتحي عملا ما ، يكفل له حياته • ففكر في
تعليمه مهنة ، ورغب في تقديمه الى أحد التجار ليعمل عنده •
ولكن التجارة كانت في واد ، وأحلام الفتى الفنان كانت في
واد آخر • فقد كان فتحي يستشعر في أعماق نفسه ان الطبيعة
قد اختارت له طريقا أخرى • ورسمت له هدفا مختلفا •
وعندما كان عبد الجليل وفتحي يسيران قاصدين التاجر

(١) عن شاهد عيان المهندس سماح رنة •

جذب فتحي يده من يد أخاه صارخا : لا • لا أريد أن أكون
تاجرا •

ولم يذعن فتحي رغم الحاح أخيه وتهديده • وأصر
على الرفض ، ثم ترك أخاه في الطريق ، واختفى •

ترك فتحي منزل أخيه حاملا معه كتبه وأوراقه وأقلامه ،
وكان يمضي بعض الوقت عند أخته زكية ، ثم يقضي الليل
في بيت عمه الحاج عمر • ورسم رسوما كثيرة • وظل على
هذه الحالة طوال أربعة شهور • وكان يعاني خلالها الاضطراب
والقلق ، فقد كان يعرف ما يريد ، ولكنه عاجز عن نواله
فالمصاعب المادية كانت تقف حاجزا ضخما أمام طموحه • وقرر
أن يعتمد على نفسه ، فوجد عملا لدى المعلم حسن الحفار في
محلة الجديدة بحلب ، وبدأ يعمل في نحت الخشب وحفره
لتزيين الاثاث والابواب • واتفق هذه الحرفة ، وبلغ فيها درجة
الفن الجميل • وما زال باب دار أخيه عبد الجليل في محلة
العقبة محلي بآثاره • حتى انه عندما ذهب الى روما ، شاهد
نجارا يعمل في حفر الخشب ، فتقدم اليه ، وطلب منه السماح
له بمساعدته • فقبل الايطالي مستغربا ، ولكن سرعان ما تحول
استغرابه الى دهشة فاعجاب باليد الماهرة حتى انه عرض عليه

أن يعمل لقاء أجر كبير (١) • ثم انتقل الفنان الى فن النحت بالذات ، وكان أول ما صنعه هو الزنبة رمز الكشاف • ثم صنع تمثالا بالحجم الطبيعي (الرأس فقط) للزعيم الراحل ابراهيم هنانو (٢) (شكل رقم ٣) اذ كان يحبه جدا ، ويكن له التقدير والاعجاب •



شكل رقم «٣»

-
- (١) عن مقال لغالب سالم نشر في مجلة الاسبوع السياسي الحلبية تاريخ ٣ مارس ١٩٥٨ •
 (٢) نسخ التمثال موجودة لدى عائلة الفنان ، ولدى عدد من اصدقائه وفي ثانوية ابراهيم هنانو بحلب •

وكان النضال الوطني عام ١٩٣٦ قد توصل الى عقد اتفاق في أول آذار تعترف فيه فرنسا باستقلال سورية ، ثم سافر وفد سوري الى باريس برئاسة المرحوم هاشم الاتاسي ، وبعد مفاوضات طويلة ، عقدت الاتفاقية في التاسع من أيلول تقضي بالغاء الانتداب وتوحيد البلاد وتأسيس جيش وطني •

وعندما عاد الوفد كانت فرحة البلاد كبيرة ، اشترك فيها الشعب باجمعه ، واستقبل أعضاء الوفد بالاناشيد الحماسية والرقصات الشعبية •

وحين وصل الوفد الى حلب ، واستقر في المنزل الكائن في حي السويقة تقدم الفنان فتحي محمد من أحد أعضاء الوفد المرحوم سعد الله الجابري وأهداه مدالية نحت بالجص لصورة البطل ابراهيم هنانو ، ثم تناول قطعة من الورق ، وبخطوط سريعة معبرة سجل عليها وجه الجابري الذي أعجب بالفنان الشاب ، وأثنى عليه ، وشكره على هديته ، ووعدته بالسعي لايفاده الى بلاد الغرب في أول فرصة لدراسة الفن (١) •

ولكن سرعان ما انقلبت أفراح البلاد الى أتراح ، والآمال الى خيبة ، اذ نكت المستعمر بوعده ، وزاد تنكيله فاقتطع جزء

(١) عن احمد عرفان •

غاليا من البلاد (لواء الاسكندرونة) وقدمه لقمة سائغة للاتراك •
وكان فتحى آتئذ يشحذ الهمم في رسوم كاريكاتورية
طريفة كانت تنشرها جريدة النذير في عددها الاسبوعي المصور •
كما كان يعمل أيضا على تزيين كتب لطفى الصقال للاطفال ،
ودواوين بعض الشعراء (١) •

وحدث أن عاد من روما أول طالب سوري درس الفن
فيها ونال شهادة دبلوم في فن التصوير من أكاديميتها وهو
غالب سالم وذلك في عام ١٩٣٦ •

وأقبل فتحى على غالب يسأله بنهم وشوق عن أسرار
الفن ، وعن بلاد الروائع ، وموطن الجمال • وانعدت أواصر
الصداقة بين « ذلك الفتى ذو الوجه الاسمر ، والقامة القصيرة ،
والشعر الجعدي الحالك والعينين السابحتين في عالم الطموح
الذي لا ينتهي : فتحى محمد ، ورفيقه الصفي غالب سالم
الذي شاهد مولد فنه لوحده ، وودعه الى مصر فروما وحده •
واستقبله عند عودته لوحده ، وسعى وراء جثمانه لوحده » (٢) •

(١) منها كتاب القراءة المصورة ، والمسرحية الشعرية وثورة العبيد ،
لعبد الرحمن أبو قوس •

(٢) من الخطاب الذي القاه خليل هنداي في حفلة تأبين الفنان في
٣٠ مايس ١٩٥٨ •

وزار فتحي منزل غالب ، فأطلعه هذا على اللوحات والرسوم التي أعدها في روما ، وراح يقص عليه قصة الفن في بلاد الفن ، ويروي له مغامراته هناك والحياة الفنية الصاخبة ويشوقه الى زيارة روما والدراسة فيها .

وعاد الى حلب وهبي الحريري قادما من روما ، والتقى بفتحي « اذكر اني قد اجتمعت بفتحي فور عودتي من ايطاليا عام ١٩٣٧ ، لقيته وقسّذ بين جمع من الرفاق ، فرأيتيه يحدق اليي بأدب واستحياء ، وعلى فمه ابتسامة رقيقة صريحة وطيبة . وسألني : ماذا أفعل ؟ فأجبتة بانني سأفتتح مرسما أقوم فيه بتدريس الرسم والنحت ، فشعرت كأن هذا القول أثلج صدره ، ومنذ ذلك الحين كان لا ينفك عن لقائي في مرسمي الكائن في البناية المواجهة للبنك السوري » (١) .

وبالفعل فقد افتتح وهبي مرسما في المكان المذكور ، وراح يدرس فيه الفن للناشئة والهواة . وكان فتحي يتردد على المرسم من آن لآخر ولكنه ظل يعمل لوحده في « دكان صغير في حي المشاركة ، مجاورة للفاخورة ، وكانت سعة الدكان لا تتجاوز ثلاثة أمتار في أربعة ، وبارتفاع لا يتعدى رأس الانسان الا بقليل » (٢) .

(١) من خطاب وهبي الحريري في حفلة تأبين الفنان .

(٢) من خطاب وهبي الحريري في حفلة تأبين الفنان .

وكانت معظم أعمال فتحي في ذلك الحين عبارة عن بداية فنية ، ويقول في ذلك : « نشأت على نقل الصور وتكبيرها وكان المعجبون بي كثيرين ، وكنت أرى نفسي فنا عظيمًا ، لا يضاهيني أحد في النقل والتكبير وغير ذلك • مما كنت أعده فنا ؟ ولكنني عدت وبدأت برسم الاناء والابريق عن الطبيعة من جديد ، وكان ذلك عندما عاد الاستاذ غالب سالم وزميله الاستاذ وهبي الحريري من روما حيث تكرما علي بتلقيني بعض القواعد ، وهديانني الى الطريق • كانت معرفتي بالفن عبارة عن بضع قواعد صحيحة تلقيتها من أستاذي غالب وزميله وهبي » (٢) •

كان فتحي كلما استمع الى وصف روما من غالب وهوبي ، ازداد شوقه وحنينها اليها ، وتضاعف تعلقه بالفن ، وتصميمه على تكريس حياته للفن ، وانكب على دراسة اللغة الايطالية ، يساعده غالب في ذلك ، ويعلمه أساتذة ملحقون بالمدرسة الليلية التابعة لدار القنصلية الايطالية بحلب • وأوصى غالب أساتذة المعهد بفتحي ، وشجعه على المضي في محاولته لتحقيق حلمه وأمله •

وأعدت الجالية الايطالية مسابقة لانتقاء طلاب لارسالهم

(٢) من رسالة للفنان الى غاندي نقشبندي من روما دون تاريخ •

في بعثة الى روما للدراسة ، واجتاز فتحي المسابقة بنجاح
ملحوظ ، وفاز في البعثة المجانية التي سترسل للدراسة في
أكاديمية الفنون الجميلة العليا بروما .

وكانت فرحة فتحي لا تعادلها فرحة لتحقق حلمه
الذهبي .

ولكن السلطات الفرنسية عندما علمت بالامر منعت فتحي
من السفر في آخر لحظة ، وسحبت الجواز منه .

وكان هذا التصرف الجائر صدمة قاسية لفتحي .

وذهب في ذلك الحين مع أصدقائه الى المخيم الكشفي
العربي الذي عقد عام ١٩٣٩ في رويسات صوفر ببلنات ، وهناك
التقى بمعلمه الاول : الطبيعة ، وأخذ يسجل فنتها على لوحات
جميلة ، يوزعها على الذين يتعرف اليهم من نزلاء المخيم
ورواده من الاقطار العربية .

وساعدت طبيعة لبنان الجميلة ، والحياة في المجتمع
الكشفي ، على بث الهدوء والامل في نفس فتحي .

وحين عاد الى حلب كانت نيران الحرب العالمية الثانية قد
اندلعت .

وكان فتحي يعيش مع لفيق من أصدقاء طفولته ، يقضون

السهرات معا ، ويرتادون من حين الى آخر بعض النوادي الفنية ، كنادي الشمال ، والفرقة القومية للتمثيل •

وكان من أصدقائه : احمد عرفان ، وحدي الدواليبي ومحمد سعيد البستاني ، وفاتح الرفاعي • واتخذ فتحي من البستاني نموذجا لصنع تمثال نصفي • وعندما قرر الفنان صب التمثال ، وكان المكان ضيقا ، اضطر الى صبه في فراشه بالذات مضحيا براحته ونومه على أن لا يفقد التمثال جزءا من جماله (١) •

ولم يلبث أن انضم الى الجماعة نجم الدين الحمصي الذي أختار بعد فترة من الزمن الانخراط في الجيش ، وذهب الى مصر في بعثة لدراسة الطيران •

ولقد صنع الفنان في تلك الفترة تمثالا للسيد فريد الكيالي وتمثالا آخر لمهدي الزعيم وصبحي الدقاق (٢) •

وكان فتحي طوال ذلك الوقت يعاني الفقر ، فمطالب الحياة كثيرة ، واعباؤها باهظة بينما موارده قليلة • فاقترح البعض عليه أن يصنع تماثيل لكبار رجال الدولة عله يجتني بعض المال • فقبل هذا الاقتراح مرغما مكرها « والا فمن ذا

(١) ما زال التمثال في حوزة السيد البستاني •

(٢) في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٤٣ •

الذي يقبل صاعرا سياط الزمان ومهاته ، ويرضخ لظلم
المستبد ويسكت عن زراية المتطرس (١) .

وهكذا صنع تمثالا لفيضي الاتاسي وزير المعارف وقتئذ ،
ثم صنع مدالية وتمثالا نصفيا لرئيس الجمهورية الشيخ تاج
الدين الحسنبي الذي عاد الى الحكم عام ١٩٤١ .

وتشكل في سورية أثناء الحرب ، جهاز خاص لتموين
الجيوش الحليفة من محاصيل البلاد تحت اسم (الميرة) فوجد
فتحي لنفسه وظيفة فيها . وكان مثال الموظف النشيط الشريف ،
ولكنه كان دائما كعاداته منذ نعومة أظفاره يحمل بين جنبيه
قلبا ينبض بحب بلاده ، فكان يتناقش أحيانا مع الضباط الانكليز
ويحتد النقاش فيتجمهر الموظفون العرب حول فتحي .

واعتبرت الادارة ذلك تحريضا منه للعمال ، ففصلته عن
وظيفته ، وعاد فتحي مرة أخرى الى البطالة المرهقة ، ومرارة
الفاقة .

وأقيمت مسابقة لانتقاء أستاذ في فن الحفر لمدرسة الصنائع
بحلب ، فاشترك فتحي فيها ولكنه لم ينجح بسبب جهله لبعض
المسائل العلمية (٢) .

(١) شكسبير على لسان هاملت .

(٢) شباط عام ١٩٤٤ .

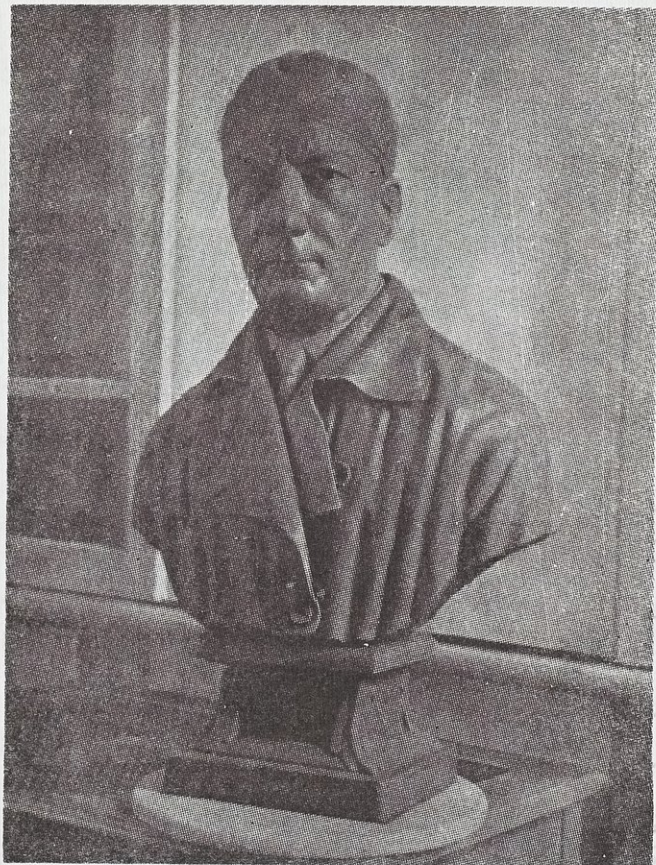
وعادت ادارة الميرة ، فاستدعته الى الوظيفة بعد بضعة شهور لانها شعرت بحاجتها الماسة اليه اثر الفراغ الذي تركه من جراء فصله . وسلمته ادارة اعاشة الثكنات العسكرية لسورية الشمالية وللفرع الفني .

وحدث أن توفي الطيب غابرييل شوفاليه وهو جراح فرنسي في مستشفى القديس لويس بحلب ، حيث ظل يعمل في خدمة الانسانية سنين طوال . ورغبت ادارة المستشفى في اقامة تمثال نصفي له ، اعترافا بخدماته الجليلة ، وعهدت الى فتحى بالقيام بهذا العمل .

وانكب فتحى على العمل مستعينا بالصور الشمسية ، دون أن يسبق له رؤية الطيب . واستطاع رغم المدة القصيرة أن يصنع التمثال ، ويقدمه لحفلة ذكرى مرور أربعين يوما على الوفاة .

وأقيمت الحفلة (١) في نادي الشبيبة الكاثوليكية ، فلفت التمثال بجماله أنظار الحفل ، واستحق فتحى الشكر والاعجاب والتقدير ، وكان على رأس المهنيين الدكتور عبد الرحمن كيالي وزير العدل آئذ الذي حضر خصيصا من دمشق ليلقي كلمة بهذه المناسبة . (شكل رقم ٤) .

(١) الثلاثاء ١٨ نيسان عام ١٩٤٤ .



شكل رقم «٤»

وتوجد في المستشفى اليوم نسخة عن التمثال ، وثمة
نسخة أخرى قدمها المستشفى هدية الى متحف فتحي محمد
بحلب ♦

ونلمس في هذا التمثال تقدما ملحوظا في الصنعة وفي المفهوم الفني ، فلقد كانت تماثيل الفنان قبلا تحمل في كتلتها عناصر الفن الخام ، واليد المترددة المضطربة ، الا أن فتحي استطاع أن يبرز في وجه الطيب علائم الطيبة ، ومجبة الانسانية المتجلية في النظرة البعيدة الهادئة • وان يحقق دقة في النسب ، وجمالا في حركة الرأس ، بالاضافة الى وضوح التعبير • كما نلمس أيضا الخطوط الاولى لاسلوب الفنان الذي كان يلتزم البساطة والسهولة في عمله الفني •

الفصل الثاني

دراسة الفنان في مصر

قصة تمثال المعري

أرى قبسا في الجسم يطفئه الردى
وما دمت حيا فهو ذا يلتهب
« أبو العلاء المعري »

« في شهر ربيع الاول سنة ١٣٦٣ مر على مولد أبي العلاء الف سنة فرأى المجمع العلمي العربي في دمشق أن يحيي من هذه الحادثة ذكرى تكون وسيلة للاستقصاء في دراسة أبي العلاء والتنقيب عن آثاره ، فعزم على اقامة مهرجان أدبي عام يفتتح في دمشق في اليوم الثامن من شوال سنة ١٣٦٣ (٢٥ أيلول ١٩٤٤) ودعا اليه أقطاب العلم والادب في الاقطار العربية ، وبعض الاقطار الشرقية والغربية ممن يمكن أن تبلغهم الدعوة في هذه الحرب الضروس . وافتتح المهرجان

في دمشق تحت رعاية رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي •
استمر اسبوعا كاملا ، وأقيمت الحفلات الخطابية في دمشق
ومعرة النعمان وحلب واللاذقية فشهدت البلاد أعظم حادث
أدبي في تاريخ الادب العربي (١) •

وقرر المجمع العلمي العربي ان يدعو الفنانين الى المساهمة
بأعمالهم الفنية لتخليد ذكرى فيلسوف المعرة والاشتراك
بالمهرجان الادبي الكبير • كما وعد بشراء أجمل المعروضات
من لوحات وتماثيل (٢) •

وبلغ الخبر فتحني ، فوجد انها فرصة نادرة ليبيد للناس
موهبتة الحققة ، وليظهر لهم نتاج فنه وبراعته ، فقرر أن يكرس
وقته كله للعمل في هذا المشروع • واستقال من عمله في الميرة •
وظفق يشتري الكتب عن حياة المعري ، والتي تعرضت
لفلسفته ، وانكب عليها يقرأها بنهم وشغف ، ويسجل الملاحظات
الدقيقة ، ويجمع الاوصاف البدنية والنفسية وتشبع فتحني بروح
أبي علاء الحزينة ، وغرق في أجوائها المتجهمه ، فأبو العلاء
لم يعرف من الحياة سوى جانبها الصعب فقد عاش في بلد صغير

(١) من كتاب المهرجان الالفني لابي العلاء المعري من مطبوعات المجمع

العلمي العربي الصادر عام ١٩٤٥ خليل مردم بك ص ٣ •

(٢) اشترك سعيد تحسين بلوحة زيتية كبيرة محفوظة في متحف الفن

الحديث بدمشق •

وسط مجتمع ذي عقلية محدودة • وزاد عماه في بلائه ، فظل رهين مجبسيه حتى واتته ضجعة الموت فرقد ليستريح جسمه فيها بعد عيش نكد كان خلاله نهبة التساؤل والقلق • ولقد فهم فتحي روح الفيلسوف ، وأدرك سر تشاؤمه ، خاصة وهو ربيب الفقر وطفل الحزن ، نشأ يتيما ، وعارك الحياة وحيدا ، ولم يعرف من طعمها سوى المرارة •

وكتب فتحي في ملاحظاته هذه الفقرة : « وعمي من الجدرى سنة سبع وستين • وغشي على عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة • • احدهما بارزة والاخرى غائرة جدا ، وهو مجذور الوجه ، نحيف الجسم ^(١) » •

ولكن معرفة بعض صفات الفيلسوف ظلت أمرا صعبا خاصة معرفة ما يريده المجمع من الفنان بدقة وتحديد • وبغية الحصول على أجوبة لهذه الاسئلة التي كانت تدور في رأس الفنان ، كتب الى أحد أصدقائه في دمشق يرجوه الاتصال بالمسؤولين والحصول على مزيد من الايضاحات فأجابه الصديق : « • • من المحقق ان جسم ابي العلاء كان نحिला وصغيرا ، خصوصا انه كان مقعدا تقريبا ، لذلك كانت عضلاته غير نامية • أما العمامة فيظهر انها كانت على غير الشكل المألوف اليوم • فهي تشبه

(١) من كتاب « وفيات الاعيان » •

تقريبا العمامة التي يظهر فيها الفيلسوف في الرسم المنشور على غلاف كتاب الاستاذ الاستاذ كامل الكيلاني ، وذلك ما قاله لي خليل مردم بك ، والذي فهمته من المستشار الفني لوزارة المعارف الاستاذ ساطع الحصري بأنه على المثال في الدرجة الاولى أن يظهر نفسية أبي العلاء دون الانصراف الى دراسة الشكل فقط ، اذ يجب أن تظهر في وجه أبي العلاء الانفة والشمم وبعد التفكير والنظر العميق والتشائم • ويجب أن تظهر هذه القضايا المعنوية بدقة ووضوح • واذا نجحت في هذه الاشياء كلها فلا شك بأن وزارة المعارف ستشتري القطعة أو المجمع العلمي^(١) • وعندما اختمرت الفكرة في دماغ الفنان ، ووضحت الصورة في مخيلته راح يفتش عن النموذج الذي يصلح لتقمصها ويتجاوب مع تلك الصفات • وكان كلما وجد وجهًا صالحًا اصطدم بالرفض عندما يعلم الشخص الهدف المقصود •

وأخيرا صادف فتحي رجلا ضريرا ، مسنا ، فقيرا • وتوصل الفنان الى اقناعه بعد جهد جهيد ، وبعد اغرائه بالمال • وبدأ العمل الشاق في الدكان الصغيرة ، بأدوات قليلة مبتكرة ، وبمعرفة بسيطة عفوية بالاساليب الفنية •

وكان فتحي يستدين المال من أجل شراء الكتب والطين

(١) رسالة من عادل سباعي تاريخ ٣٠ تموز ١٩٤٤ •

والادوات ، ولينفق على تحقيق مشروعه • وقد انتشر الخبر بين المثقفين وهواة الفنون • فلقد كان الحدث جديدا في تاريخ الحياة الفنية في البلاد •

وبدأت ملامح الفيلسوف العربي العبقري تظهر تحت لمسات الاصابع السحرية • وتزايد فضول الناس وشوقهم لرؤية العمل الفني منتهيا •

وأصبحت دكان الفنان الصغيرة كعبة لمتذوقي الفنون ، ومجمعا للادباء والكتاب ، يناقشون الفنان تارة ويتبادلون الاسئلة تارة أخرى • واقترب موعد المهرجان • وانهى الفنان عمله • وبدا فيلسوف المعرة في جلال ووقار ونظرة عميقة بعيدة كأنها تطارد الفكر في حلته اللانهائية • بينما الاسى قد عجن مع الاخاديد والتجاعيد في الجبهة • فاستطاع الفنان أن يجسد فلسفة أبي العلاء ونفسيته خلال تقاطيع الوجه التي التزم فيها الفنان الوصف البدني التاريخي ، فبدأ التشاؤم جليا في انحدار التجاعيد ، والعمق في التفكير ، والكبرياء والعزة في العينين ، رغم تأثره بالتماثيل النصفية اليونانية التي كانت ملكاً لبعض أصدقائه ، وابتعاده عن التعبير عن زهد أبي العلاء وتشفه ورقة احساسه • « في يوم الخميس في ٢٨ أيلول عام ١٩٤٤ كانت لجنة المهرجان قد أعدت العدة لاقامة الحفلة الخطابية الرابعة في باحة مدرسة التجهيز • وكانت باحة المدرسة مزينة بالاعلام

السورية ، وأعلام الدول العربية ، والانوار الكهربائية على أشكال هندسية مختلفة • فلما دخلها أعضاء المهرجان استقبلهم المدعوون بالتصفيق ، فجلسوا على المقاعد الخاصة المعدة لهم حول منبر الخطابة ، وكانت اللجنة قد نصبت حوله مكبرات الصوت لاذاعة الخطاب على الجماهير (١) » •

وكان مؤلف هذا الكتاب من بين الحضور فشاهد الفنان قرب تمثاله قلقا مضطربا خجلا • وكان التمثال الى جانب منبر الخطابة ، مجللا بستار أبيض • وعندما رفع الستار ، بدا التمثال بروعته ، وظهر الفيلسوف بجلاله ووقاره ، يهيمن على الحضور ويفرض جوا فكريا قدسيا (٢) • (شكل رقم ٥)

وبعد أن انتهت الحفلة ، وانفضت الجموع ، تعرف الفنان فتحي على الدكتور طه حسين الذي أخذ يتلمس التمثال ويتحسس يديه • وأعجب بالفنان ونصحه بالالتحاق فورا بمدرسة الفنون الجميلة في القاهرة ، كما أعطاه كتاب توصية • وأيقظت نصيحة الدكتور في نفس الفنان آمالا جساما وأحلاما كبارا •

(١) من كتاب المهرجان الالفي لابي العلاء المعري - جميل صليبا ص ١٤٤

(٢) اشترى المجمع العلمي العربي بدمشق نسخة وما تزال موجودة

فيه • كذلك فعلت دار الكتب الوطنية بحلب •



شكل رقم «٥»

وهنا تنتهي مرحلته الفنية الاولى ، التي كانت في النحت
عفوية تعتمد على الموهبة الصرفة والفطرة الخالصة • كان

فتحي في أعماله الأولى مترددا ، لكنه سرعان ما اكتسب خبرة في عمله وثقة في نفسه واعتمادا على رأيه •

كان فتحي يصر على التدقيق في الشبه والاهتمام بالتفاصيل اهتماما كبيرا مع التردد في اختصار الأشكال والكتل • وربما كان هذا بسبب رغبته في البرهان على مقدرته وتفوقه في تصوير الأشخاص في دقة متناهية • كما كانت تماثيله كلها شخصية نصفية ، ولم يصنع تماثلا كاملا ، ولم يحاول تجسيد العاري قط •

وكان « يميل الى الضخامة فكانت صلابة جسمه ومثانة بنيانه تنعكس على أعماله (١) » • الشيء الذي نجده واضحا في تماثيل أبي العلاء إذ بدا الفيلسوف ضخما الجثة عريض المنكبين ، ولكن هذا « كان سوف يؤهله لعمل النصب التذكارية الضخمة والتماثيل الكبيرة في الميادين العامة • • لو قدر له أن يعيش (٢) » •

وظف فتحي يعد العدة للرحيل الى مصر ، وكانت العقبة الكأداء هي المادة ، ولكنه قرر المقامرة بكل ما يملك والتضحية بالغالي والرخيص في سبيلها • وكانت لديه بضعة أسهم في

(١) من رسالة حسين بيكار الى المؤلف •

(٢) المصدر السابق نفسه •

شركة الغزل والنسيج فباعها • ورهن حصته من الدار في شارع الشماعين • ثم شد الرحال الى القاهرة فوصلها في شهر تشرين الثاني ١٩٤٤ •

وهناك كان بانتظاره صديقه فاتح الرفاعي ، طالب الهندسة وكان فرحة الصديقين كبيرة بلقائهما • وذهب فتحي توا الى المدرسة وهو فرح وجل • فقد علم أن فرع النحت في المدرسة ضعيف غير مكتمل النضوج فقرر الانتساب الى فرع التصوير الزيتي •

وقد دهش فتحي عندما أعلمه المدير الدكتور عبد المنعم هيكل بأنه لن يقبل كطالب رسمي لانه ليس من حملة الشهادة الثانوية (البكالوريا) ونصحه بالالتحاق بالقسم الحر • فأصر فتحي على الانتساب رسميا للحصول في نهاية الدراسة على الشهادة الرسمية فاعتذر المدير بلباقة ، وعندئذ اتصل فتحي بالاديب بشر فارس (١) ، وأطلععه على الامر ، ورجاه التدخل فقد يصدر المدير قرارا استثنائيا كما فعل من أجل طالبين سوريين آخرين وهما : نصير شوري وناظم الجعفري اللذان قبلا في الدراسة النظامية دون الشهادة الثانوية ، ولكن الامر

(١) هو بشر بن فيلكس فارس الاديب اللبناني • وقد عمل فترة من الزمن كاستاذ لغة فرنسية في تجهيز حلب •

يظهر انه كان متعلقا بوزير المعارف بالذات وليس بالمدير
وقد رفض الوزير *

وبسم الحظ أخيرا لفتحي اذ حدثت الانتخابات في مصر
وتغيرت الوزارة وأصبح السنهوري باشا وزيرا للمعارف *
فانحلت المشكلة ، ودخل فتحي المدرسة في فرعها الرسمي في
الصف الثاني بعد أن اجتاز فحفا مبدئيا أمام أساتذة المعهد
فأثار اهتمامهم ونال اعجابهم *

والتزم فتحي أثناء دراسته العمل الجدي والمثابرة والاقبال
على دروسه بانتظام وحماس * وكان من أساتذته الفنان الكبير
المرحوم أحمد صبري والفنان يوسف كامل والاستاذ حسين
بيكار الذي كان يحبه كثيرا ويعطف عليه ولقد وصفه
بقوله (١) : « كان فتحي يمتاز برقة الطبع وهدوء النفس
ودمائه الخلق وقلة الكلام » *

ودرس فتحي التشريح على يد الدكتور والي ، وتاريخ
الفن على الاستاذ مرابط ، ودرسه اللغة الفرنسية والايطالية
أساتذة أجنب *

ولم تكن حياة الطلبة سهلة يسيرة بل كانت تمر بهم
لحظات قاسية حرجة اذ امتنع مكتب القطع النادر في سورية

(١) من رسالة الى المؤلف *

عن تحويل المبالغ الى الطلاب لاسباب عديدة ، فوقع الطلاب في حرج • وراح فتحي يعاني الامرين من جراء ضيق ذات يده • وكثيرا ما كان يبيت على الطوى ، ويظل أياما عديدة يعاني مرارة الحياة وشظف العيش •

وكتب الى أخيه (١) : « لقد أصبحت في حال سيئة جدا من حيث المادة ، لقد بعث بابخس الاثمان معظم ما اقتنت من كتب وأدوات ضرورية لاسد بها رmq العيش وبعض الضروريات •• ولا أكتمك انني بعث أيضا جائزتي التفوق اللتين نلتها خلال العامين الفائتين ولم يبق لي سوى جائزة وهي التي كانت نصيبي هذا العام أيضا » •

وتذكر فتحي وعدا لرئيس المجمع العلمي بدمشق بتكليفه بصنع تمثال لابي الطيب المتنبى فهرع يكتب اليه ويذكره بالوعد ويعرض خدماته • ولم يتلق فتحي أي جواب •

وتطلع فتحي فيما حوله فوجد زملاءه من المبعوثين على نفقة وزارة المعارف السورية يتمتعون بحياة معقولة هنية ، فكتب الى مراقب البعثات العلمية في الوزارة يقول : « •• بما انني لم أستطع الانفاق على متابعة دراستي وتحصيلي وأصبحت حاجتي ماسة الى المساعدة • أرجو أن تشملوني برعايتكم

(١) رسالة من القاهرة تاريخ ٣٠-٤-١٩٤٧ •

وتشجيعكم فتعتبروني عضوا مبعوثا على نفقة الحكومة السورية
أسوة بزملائي * * « * ولم ينل طلبه هذا الموافقة *

وعلم بأمره أحمد عرفان ، صديقه القديم ، وكان يعمل
في الشركة السورية المساهمة للتمثيل في حلب * فاستطاع أن
يؤمن لفتحي من صندوق الشركة مبلغ عشرة جنيهاً شهرياً
على اعتبار ان فتحي سيعود بعد انتهاء دراسته ليساهم في أعمال
الشركة التي لم تلبث بعد فترة من الزمن أن أعلنت إفلاسها
ولم تطالب الفنان بالمبلغ (مائة جنيه) لفقره *

ولئن كان لحياته هناك جانبها القاتم ، فلقد كان لها أيضاً
جوانبها الأخرى الوضيئة * فقد تعرف فتحي على فتاة مصرية
أسمها سميراميس ، وكانت طويلة القامة ، ممشوقة القد ،
سمرء اللون تتميز بالخضر والحياء * فما ان وقعت أنظاره عليها
حتى شعر بقلبه يخفق على غير عادته * وانطبعت صورتها في
مخيلته * ولكنه كان خجولاً فكان يخفي سره بين ضلوعه ،
ويكتم هواه * وأدرك فاتح زميله سر شروده المستمر واضطرابه
الدائم كلما مرت سميراميس بهما وألقت التحية بابتسامتها
العذبة ومحياها المشرق * وقرر فتحي الزواج غير أن أسبابا
عديدة حالت دونه ولم يتحقق (١) *

(١) عن المهندس فاتح الرفاعي *

وفي عام ١٩٤٧ فجعت البلاد بوفاة سعد الله الجابري ،
ودفن الى جانب زميله في الجهاد ابراهيم هنانو في حلب •
وأراد أقرباء الفقيد وأصدقاؤه وزملاؤه صنع تمثال يخلد
ذكراه • وتقدم أحد الفنانين في حلب فصنع تمثالا لم ينل الاعجاب
ولم يحقق الرغبة المرجوة •

واستدعي فتحي من القاهرة ، وعهد اليه بالعمل ، وأقبل
فتحي كعادته على عمله بنشاط وحمية ، فجمع عددا كبيرا من
صور الفقيد الشمسية واستقصى أوصافه وأخلاقه وعاداته •
وراحت أصابعه تعمل في الطين في دكانه الصغيرة بالشماعين •
وبدأت ملامح الزعيم الفقيد تراءى خلال كتل الطين الجامد •
وعندما انتهى التمثال في ساعة متأخرة من الليل ، جلس فتحي
لحظة يتأمله بعين الرضا والغبطة ، ثم ذهب الى فراشه مطمئن
البال ، مستريح الخاطر •

وعندما فتح دكانه في صباح اليوم التالي فوجيء بروية
التمثال ساقطا على الارض ، وقد ضاعت ملامحه وتشوهت
تقاطيعه • ولكن فتحي استقبل الخطب بابتسامته العريضة
الهادئة ، وعاد من جديد الى عمله بحماس وجد •
وكان رئيس بلدية حلب مجد الدين الجابري أحد
أقرباء سعد الله الجابري لا يكل عن زيارته كل يوم ، ويقدم

له النصح والمعونة ، ويقضي معه الوقت الطويل يحمسه ويشجعه على متابعة عمله • وكان مجد الدين يعده بارساله في بعثة الى روما ليدرس فن النحت على يد الاساتذة الكبار • ويشير الى الساحات الكبيرة في حلب الخاوية من أية عمل فني ويقول له : عليك أن تملأها غدا بأعمالك الضخمة الجبارة •

وكان الفنان ينصت بشغف الى كلام رئيس البلدية الذي كان يحمله على أجنحة الخيال الى عالم ما فتىء يحلم به ويعيش من أجله منذ أن أدرك معنى الحياة ، وعرف أن القدر سطر له مستقبل الفنان الصحيح • ثم يعود الى عمله في التمثال • وظل يعمل فيه طوال صيف عام ١٩٤٧ • وانهى تمثاله في السادس من كانون الثاني عام ١٩٤٨ تقريبا • (شكل رقم ٦) •

وكان التمثال نصفيا ، وحجمه ضعف الحجم الطبيعي تقريبا ، اقتنته دار الكتب الوطنية • وأراد البعض اقامة آبدة في احدى ساحات حلب • وكلف أحد الحجارين بصنع نسخة من الحجر عن التمثال لاقامتها في ساحة سعد الله الجابري • وصنعت النسخة الحجرية ولكنها كانت فاشلة ، أفقدت التمثال الاصلي الكثير من جماله وروعته كما ان أسبابا عديدة أوقفت مشروع الآبدة • وما زالت النسخة الاصلية والحجرية موجودتين في دار الكتب الوطنية بحلب •



شکل رقم «٦»

ونستطيع القول انه بهذا التمثال قد بدأ مرحلته الثانية :
الاكاديمية (من عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥١) وهي تتصف
بالبراعة والتفوق في تطبيق المبادئ التقنية الاكاديمية التي
تلقاها عن أساتذته في القاهرة ثم في روما : من احترام للنسب
التشريحية والطبيعية ، والاهتمام بالتفاصيل ، ومحاولة اظهار
الموضوع كما يبدو للعيان مع ميل نحو التعبيرية المثالية في
تفسير الظواهر النفسية •

أما أعماله في ميدان فن التصوير الزيتي فهي أيضا مماثلة •
ولم يبق منها الا النادر اذ تبشر بعضها وأتلف البعض الآخر •
ويصف أستاذة حسين بيكار أعماله هذه بقوله : « كان
استعداده لابراز الملامح وقسمات الوجوه تؤهله لتصوير
الشخصيات تصويرا دقيقا صادقا فتخصص في عمل الصورة
الشخصية وكانت أعماله تمتاز بالوضوح والصرامة والاختلاص
في ابراز التفاصيل دون تحوير أو تحريف ، ولم تكن له
فلسفة خاصة بل كان واقعا لا تجرفه التيارات الحديثة وخاصة
أثناء دراسته ، فقد كان همه أن تكون دراسته دراسة للعالم
الطبيعة ومظاهرها ودراسة التقنية دراسة بكل معنى الكلمة (١) » •

★ ★ ★

(١) من رسالة حسين بيكار الى المؤلف •

ووفى مجد الدين الجابري وعده ، فاستطاع أن يقنع المجلس البلدي بضرورة ايفاد فتحي الى روما للدراسة فيها على أن يعود فيعمل في بلدية حلب مدة تعادل ثلاثة أضعاف المدة التي يقضيها في ايطاليا • وفي ٢٦ آب عام ١٩٤٨ أصدر مجلس بلدية حلب قرارا رقم ٤٣٧ بايفاد فتحي لدراسة فن النحت • وهكذا تحقق ما كان فتحي يحسبه حلما ، وأصبحت المعجزة حقيقة واقعة ، وسرعان ما حزم فتحي أمتعته وانطلق الى روما •

الفصل الثالث

الفنان في روما

« الرجال يمضون ، والحقيقة تبقى »

جوستاف فلوبر

وصل فتحي محمد الى روما ، البلد الذي طالما حنت اليه نفسه ، وناجاه في خياله ، وعشقه فؤاده قبل ان تكتحل عيناه بمراءه .

أحس فتحي بشعور غريب يتنابه ، ويجتاح كيانه . . . شعور من دخل عالما سحريا جديدا غريبا . عالم ينظر الى الجمال نظرة التقديس والحب ، وينظر الى الفنان نظرتة الى مخلوق تخطى حدود القدرة البشرية ، وأصبح في مصاف الآلهة .

وترك فتحي الفندق الصغير الذي حل فيه ، وانطلق نحو

أكاديمية الفنون الجميلة وقلبه يخفق ويقول (١) : « كنت في مصر طالبا في مدرسة الفنون الجميلة العليا بالقاهرة ومنها حصلت على شهادة تثبت دوامي فيها مدة أربع سنين ، كما أنني حصلت على شهادة ثانية تثبت تفوقي وترتبي الاول ، وشهادة ثالثة من محافظة حلب تثبت اني طالب مبعوث على نفقة بلديتها . وأرسلت هذه الشهادات كلها مع طلب التحاق بالاكاديمية بواسطة القنصلية الايطالية بالقاهرة . وعدد وافر من الصور عن أعمالي في النحت والتصوير وما أن مضى خمسة وعشرون يوما حتى اجبت على طلبي بالموافقة على قبولي فيها اذا تمكنت من اجتياز امتحان القبول . وعلى هذا الاساس شددت رحالي الى روما فوصلتها في الثاني عشر من شهر أيلول عام ١٩٤٨ وكانت الاكاديمية ما تزال في اجازة الصيف ولكنني قابلت السكرتير العام فأفادني عن موعد امتحان القبول وعن المواد التي سأجتازها في الامتحان . ولما كنت ضعيفا باللغة الايطالية ولا أفهمها تماما ، وجدت أمامي متسعا من الوقت لدراستها ريثما يحل موعد الامتحان فانكببت على دراستها دون مساعدة أستاذ لانني كنت أقرأ وأكتب الايطالية باتقان فقد بدأت في دراستها بالقاهرة لانها مادة مستقلة تدرس بانتظام في أكاديميتها .

(١) من رسالة الى غاندي نقشبندي من روما .

ولما حل اليوم الثالث من شهر تشرين الاول كنت على
أتم الاستعداد لتقديم الامتحان • وفي تمام الساعة العاشرة كنت
مع عدد وافر من الطلاب في قاعة الامتحان • وفيها ما ينوف
عن عشرة تماثيل أثرية ضخمة بعضها اغريقي والآخروروماني •
وتركت لجنة الامتحان للطلاب حرية اختيار أحد التماثيل
لرسمه • وما ان اخترت مكاني وشرعت في تثبيت ورقة الرسم
وتحضير الفحم حتى أقبل علي عميد الاكاديمية وأراد اعفائي
من مادة الرسم بصفتي طالب أجنبي وأريد الاختصاص بفن
النحت ولكنني اعترضت وطلبت منه راجيا معاملتي كأني طالب
ايطالي دون استثناء • وكانت المدة المعطاة لتنفيذ الرسم ست
ساعات موزعة على ثلاثة أيام • وكانت دهشة اللجنة كبيرة
عندما سلمت موضوعي في يوم واحد خلافا لزملائي الذين
قضوا ثلاثة أيام في رسمه • ثم كانت المواد النظرية وهي ثلاث
موزعة على ثلاثة أيام • وطرح علينا سؤالان • وكان لنا الخيار
بينهما : الاول تصميم زخرفي لركن في الكنيسة يسمى بالعربية:
(المعمدية) • ولما كنت أجهل الطقوس الدينية المسيحية فقد
اخترت السؤال الثاني وهو اقامة نصب تذكاري لفنان ما مع
زخرفة الجدار الذي سيوضع فيه ذلك الاثر • وهذه المادة
تكفي لاختبار مقدرة الطالب ، لانه يجب عليه أن يكون ملما

الماما واسعا بعلم المنظور وتوزيع النور والظل • ولقد أعفيت
من المادتين الاخرتين بسبب جهلي اللغة الايطالية وهي مادة
تاريخ الفن والادب والشعر • وبعد اسبوع ظهرت النتائج ،
وكنت في عداد الناجحين ، وقبلت في السنة الثانية « •
ومضى فتحي قدما في دراسته ، ينهل الفن من ينابيعه على أيدي أساتذة
كبار ، أحبوا فيه دماثة طبعه ورقة احساسه وصدق عواطفه •
وجرت في ذلك الحين محاولة في حلب لالغاء ايفاد فتحي (١)
بسبب سياسة الحكومة التي ترمي للتخفيف من النفقات ولكن
تأييد أصدقائه ومؤازرتهم له ، أحبطت هذه المحاولة بعض
الوقت •

وعانى فتحي من الالم والقلق الشيء الكثير خلال تلك
الفترة العصبية ، ولكنه سرعان ما استعاد طمأننته وعاد الى
عمله الفني •

ولقد كان فتحي رغم تلك الضائقات والمصاعب مثال
التلميذ النشيط • وقد اجتاز الفحص النهائي لعام ١٩٤٩
(السنة الثانية) بنجاح ملحوظ وكانت علاماته على الشكل
التالي :

(١) ١٩٤٩-٣-٨ •

٢٧ النحت . $\frac{٢٨}{٣٠}$ تاريخ الفن . $\frac{٢٤}{٣٠}$ التشريح .

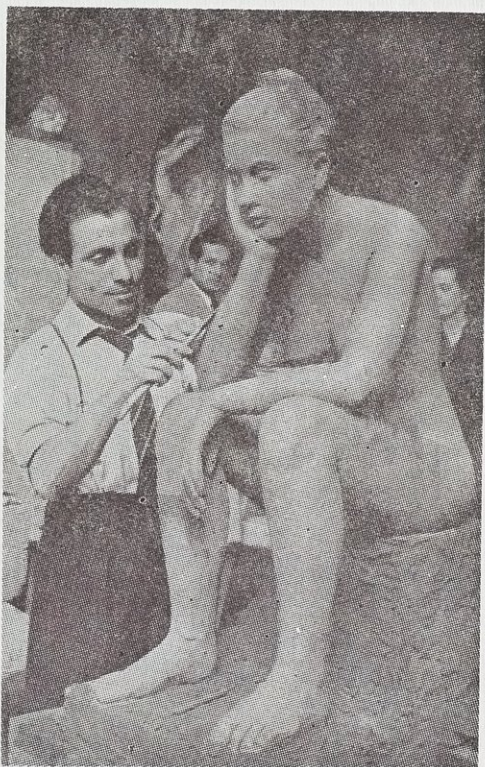
وكان أسلوبه يتطور باستمرار • فقد تمكن من التحرر من الجمود والصعوبة التي يستشعرها غير الضليع بفن النحت وأسواره ، فتعند يده وتحرن وترفض أن تخضع لاوامر خياله •

وفي عام ١٩٥٠ قام الفنان بصنع تمثال المفكرة (١) في الاكاديمية بروما تحت اشراف رئيس قسم النحت فيها الاستاذ ميشيل غويريزي • (شكل رقم ٧) •

ويظهر فيه أسلوب الفنان في المرحلة الثانية بصورة أوضح • وتتبدى روحه خلال الدراسات الاكاديمية التي لم يكن هذا التمثال الا تجسيدها لها • واستطاع الفنان ان يتخلص من الشوائب التي كانت تعيب أعماله من اصرار على الدقة في الشبه ، والاهتمام الزائد بالتفاصيل والتردد في اختصار الحركات والكتل •

كان التمثال لامرأة تفكر بوضع منهك متعب • أسندت رأسها على كفها ، بينما سقطت يدها الاخرى متهاككة في وضع تعبيري كئيب • واستسلم الرأس وقد تطلعت نظراته الى الارض

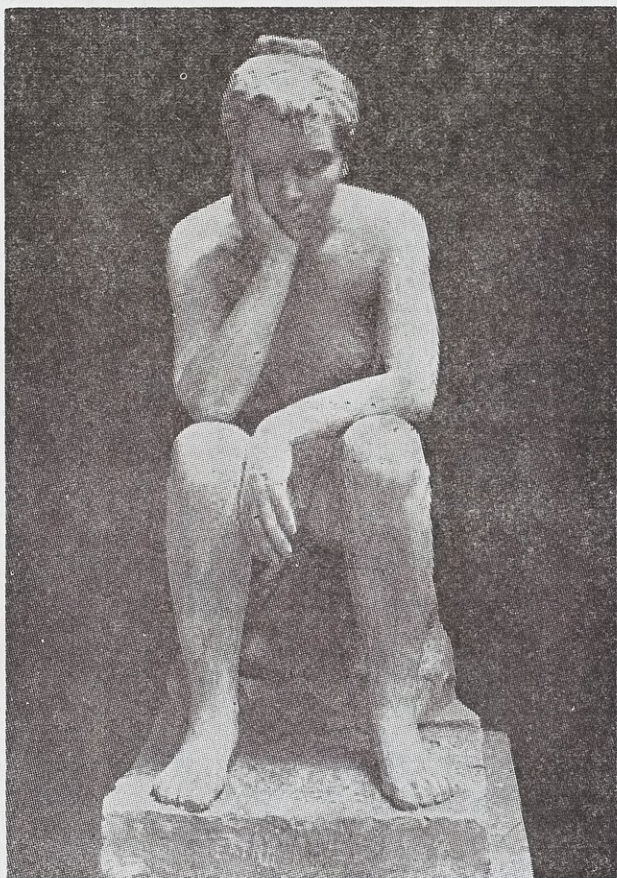
(١) التمثال موجود حاليا في متحف فتحي محمد بحلب •



شكل رقم «٧»

معبرة عن تفكير هادىء أليم • وكأن تلك المرأة هي تجسيد
للانسان الذي يسأل عن مصيره وعن سر الخليقة وعللة الوجود •
أو كأنها حواء بعد الخطيئة تفكر بما اقترفه يداها • وتشعر
بثقل خطيئتها التي لن تمحوها أية كفارة •

لقد كان التمثال رمز الألم الجارح الممتزج بالهدوء
المدعن والحزن العميق وكأنه وصية الفنان الأخيرة ، لخص



شكل رقم «٨»

فيها سلسلة المآسي والمصاعب التي عاناها ، ويعلن فيها بتعبير
متشائم عن ختام مأساته وانطفاء نجمه وهو في ريعان الشباب •
(شكل رقم ٨) •

يتحلى التمثال بعنصر البساطة التي قال عنها مثال فرنسا
أوغست رودان : « بانها في الفن تعني الانسجام ، لانها تحدد
العناصر الجوهرية ، ولكن ليس معناها الفقر بل على العكس
فان التبسيط لا يتم الا بدقة الملامح • فالبساطة اذن تنتج عن
الحقيقة » •

وواصل فتحي عمله بجد ، تحيط به عبارات الاعجاب
والتقدير فاستاذ غويريزي يحبه ويجله ولا يبخل عليه بشيء
ويصفه بقوله (١) : « كان فتحي يتمتع بصفات فذة مقرونة
بولعه الشديد بالفن مع تواضع الفنان الحق ، وهذه الصفات كانت
تضفي طابع العذوبة على شخصيته » كذلك فقد انعقدت بينه
وبين أستاذ الرخام روديني أواصر صداقة عميقة • ومع أستاذ
فن التصوير سيفيرو ومع الاستاذ بارتولي •

وقام فتحي بصنع أعمال فنية عديدة ، كتماثيل نصفية
لبضعة أشخاص من الاصدقاء الاجانب والهواة • وبضعة تماثيل
عارية بقيت في أكاديمية روما •

(١) من رسالة ميشيل غويريزي ارسلها الى لجنة تابين المرحوم

فتحي محمد •

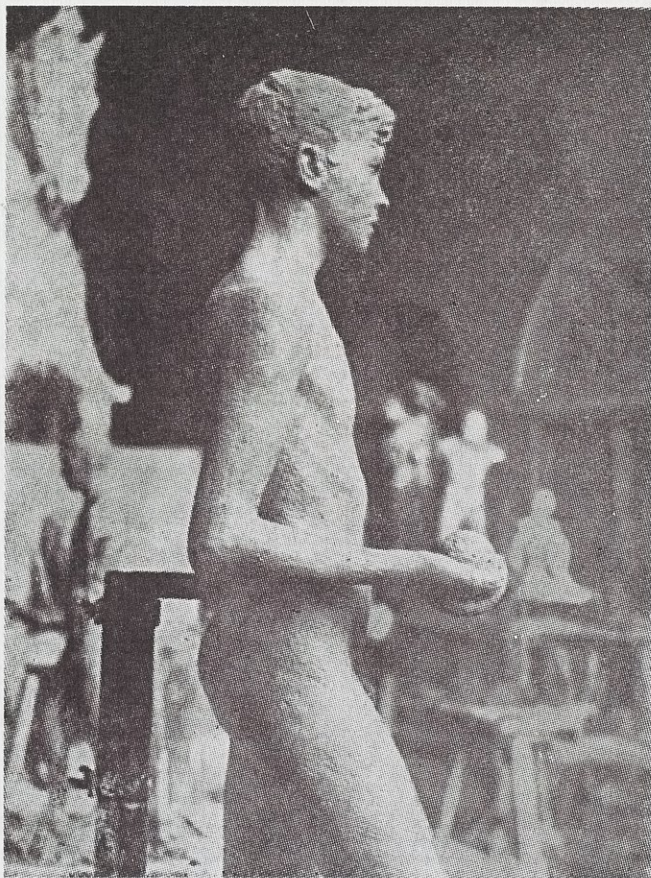
وعندما شارفت دراسته على النهاية عام ١٩٥١ كان عليه أن يحضر موضوعا يفرضه الاساتذة لاجتياز الفحص النهائي • وكان الموضوع ينص على صنع تمثال ليافع لم يبلغ سن الرشد بعد •

وانكب فتحي على التشريح يدقق في معضلاته ، ويقضي الساعات الطوال بين الهياكل العظمية والجثث المشرحة ، يصورها في رسوم عديدة وأوضاع مختلفة (١) • وراح فتحي يعرك الطين ، ويحوله بأنامله الى كتل تنطق بالجمال • وانهى تمثاله فاذا به قطعة نية اخاذه رائعة • (شكل رقم ٩) •

انتصب اليافع بهدوء وجلال ووقار • وارتفع رأسه قليلا الى أعلى بحركة رشيقة تدل على الرفعة والسمو فترمز للانفة والكبرياء • وانطلقت أنظاره في حزن هادىء تحدد الى اللانهاية • وكأنما تحول وجهه الى وجه اله يوناني • فبلغ الفنان في التعبير عن روعة وبساطة تماثيل الحضارات الاولى من فرعونية وآشورية •

وازداد أسلوب الفنان نضجا ووعيا • ويقول الاستاذ غويريزي عن التمثال : « كان فتحي يحب الطبيعة وقد تجلى ذلك في تمثاله لليافع • ففي هذا التمثال وضحت لأول مرة

(١) يوجد عدد من هذه الدراسات لدى أسرة الفنان بحلب •



شکل رقم «۹»

الارادة القوية التي كشفت عن رجل مخلص لفنه وواثق من
مقدرته « •

كان فتحي ينحو نحو الواقعية بعد تجريدها من عناصرها
المزيفة ، ودقائقها المصطنعة مع تبسيط بمعنى اختيار أعمق
الاشارات وأقدر الرموز تعبيرا • وقد كان فتحي يميل على
الدوام الى التعبيرية في أعماله : التعبير عن الحزن والالم والقلق •
ففي جسد اليافع تتدفق الحياة كنهز كبير ، يحوي في أغواره
على انسجام تام ، وهدوء مريح للنفس والعين في آن واحد •

ولم يعد فتحي في أعماله يقرر ويصف فقط • انما ابتداء
يتعمق في النفس ، ويبحث عن البواعث الانسانية فيطلقها على
وجوه تماثله لتحدث المرء حديثا صامتا أقوى من الصراخ ،
وأبعد أثرا من كلام منمق طويل •

وهكذا استحق فتحي على تماثله هذا العلامة التامة في
النحت ، ونال شهادة دبلوم بدرجة شرف بتاريخ ٩ حزيران
عام ١٩٥١ •

وأقيمت حفلة للتخرج ، وشكلت لجنة لانتقاء أجمل
عمل فني ليمثل النشاط الفني الحديث ، ووقع اختيار اللجنة
بالاجماع على تماثل فتحي لوضعه في متحف فلورنسا (١) •

(١) ما زال التمثال موجودا في المتحف المذكور •

وعندما أعلنت النتيجة ، وبدأ أعضاء اللجنة بالبحث عن الفنان لتهنئته وتقديمه الى الحضور ، فوجئوا بعدم وجوده • ثم علموا بعد أن أعياهم البحث عنه انه قابع في داره لانه أنفق آخر نقوده ولا يملك حتى أجرة الطريق الى الاكاديمية • فذهب اليه أحد الاصدقاء وأحضره فانهاالت عليه كلمات التهنة والتشجيع • وتحلق حوله الحفل مقدا اليه احترامه وتبجيله • وشعر فتحي بالسعادة تنساب الى قلبه ، وغمرته الغبطة اذ يرى القدر بدأ بمكافأته على جهوده • ولم تضع أتعابه • ولم يكن هذا النجاح والتفوق الذي برهن عليه الفنان الاول من نوعه • فقد سبق له أن رفع راية بلاده عاليا وقدم البرهان تلو البرهان على استعداد العربي للعمل والابداع والتفوق في ميدان الخلق اذ كان قد اشترك في العام نفسه (١) في معرض خريجي الاكاديميات الايطالية الذي أقيم في مدينة نابولي • وكان الموضوع المفروض : الجمال العاري المؤنث •

فقدم فتحي قطعة فنية أخرى ، اعتمد فيها على موضوع جديد ، وكأنه قد أراد أن يثبت للنقاد الذين عابوا عليه حبه للحزن انه يرى الحياة بوجهيها المتجهم والضاحك والمتفائل •

(١) في ٢١ كانون ثاني ١٩٥١ •

وربما كان السبب يرجع الى حبه الجديد لفتاة ايطالية سمراء ،
جميلة التقاطيع ، دقيقة الملامح ، تدعى كارمن •

وكان التمثال لامرأة اضطجعت محنية الى الخلف ،
وعلى ثغرها ابتسامة ممتزجة بشيء من الحزن • اذ أن الانسان
لا يبتسم الا بسبب عزله أو قلقه والابتسامة من صفاتها أن
تكون دائما في احتضار •

وفاز فتحي بالجائزة الاولى مرة أخرى • ومنح شهادة
بذلك من أكاديمية الفنون العليا بنابولي • (شكل رقم ١٠) •



شكل رقم «١٠»

ويقول أستاذه غويريزي : « سأذكر دوما معرض نابولي
حيث رشحته لجنة المعرض للجائزة الاولى فنا لها عن جدارة •

ان ايطاليا البلد الذي يفخر دائما بأنه كيف ميوله الفنية سيندكره
كفنان جدير باحترامه » •

واقتربت ساعة انتهاء دراسته •• دون أن يرتوي من
مبع الفن • وشعر بأن تحصيله لم يتم على النحو الذي يشاء •
وان ثمة دراسات أخرى غير النحت ، يحتاج اليها في أعماله
الجبارة التي كان يحلم بتحقيقها في بلاده حين عودته اليها •
وراح يرسل المسؤولين في بلدية حلب ، ويكتب الى
أصدقائه ومعارفه من أجل تمديد بعثته سنتين اخريتين ليتسنى
له دراسة فن البرونز والميداليات •

واضطر فتحي أخيرا الى العودة آملا أن يحقق رجاءه
بمتابعة الدراسة فيما بعد • وكان ذلك في ٢٣ آذار عام ١٩٥٢ •

الفصل الرابع

العودة إلى روما

« وهؤلاء المثالون الرجيمون ، والملاحقون
باللعنة الذين يفدون ، وهم يدقون
صدورهم وجباههم بازميلهم ، ليس
لهم سوى أمل واحد ، انتصار غريب
وقاتم ، ذلك ان الموت المهيم كشمس
جديدة سيفتح اكمام زهور ذكائهم »
شارل بودلير

عاد فتحي الى موطنه ومسقط رأسه ليتأمل بنظرة جديدة
بلده الكبير وقد ازداد اتساعا وعمرانا ورقيا • فارتفعت الابنية
الشاهقة ، وظهرت الساحات الفسيحة ، وامتدت الشوارع
العريضة المشجرة •

عاد فتحي الى داره القديمة والى دكانه الصغيرة المعتادة •
ومضى يتجول في مدينته مع أصدقائه • وهو يشعر بأنه مدعو

لتزيينها بأعماله الفنية ولكنه كان في الوقت نفسه يرغب أشد الرغبة في العودة الى روما لمتابعة الدراسة لكي يستطيع تحقيق أحلامه ومشاريعه الكبيرة •

وبعد اتصالات عديدة ، ومناقشات طويلة ، أصدر مجلس بلدية حلب قرارا برقم ٢٨٠ تاريخ ٥-٦-١٩٥٢ بتمديد دراسة فتحي سنتين اخريتين لدراسة صب التماثيل من البرونز وفن الميداليات •

وهكذا رجع فتحي الى روما ، وانتسب توا الى مدرسة فن الميداليات التابعة لوزارة المالية في معمل سك النقود ، كما انتسب في الوقت ذاته الى الاكاديمية في فرع التصوير الزيتي ، فدخل السنة الثالثة فيها نظرا لشهادته •

كان فتحي يعمل في فن الميداليات منذ نشأته على اعتبار انها فرع من فروع النحت ، وهكذا فقد صنع ميدالية لابراهيم هنانو وأخرى للشيخ تاج الدين الحسيني ، وغيرهما • ولكنها تدخل في مرحلته الاولى الفطرية • ولقد كان بالطبع للدراسة العلمية المنتظمة على أيدي أمهر الاساتذة أثرها في انتاج الفنان • (شكل رقم ١١) • ولدنا اليوم في متحفه الخاص بحلب مجموعة جيدة من الميداليات التي صنعها في روما ، وكلها دليل ساطع على اتقانه هذا الفن وجهده الكبير في تعلم القواعد الاكاديمية



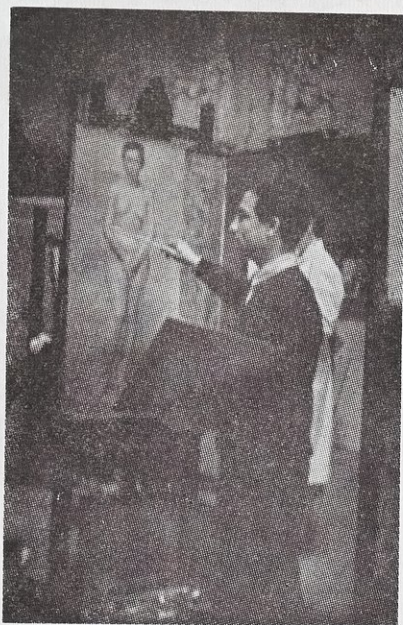
شكل رقم «١١»

وتطبيقها بمقدرة مثيرة للاعجاب • وهي دراسات للجسم
الانساني ، خاصة الانثوي منه ، في أوضاع مختلفة تجلت فيها
موهبة في التقاط ايقاع الاجساد ، وتشييتها في أكثر لحظاتها
نعما وانسجاما • بالاضافة الى اهتمامه بالعمق في تأليف المنظور
وابراز الكتل •

ومن بينها الميدالية التي نال عليها الدبلوم • وموضوعها :

« الغفران » وتمثل ولدا ضالا عاد اليه صوابه ، فرجع الى أبيه العجوز ، يركع أمامه مسترحما • مستغفرا ذنوبه ، ونشاهد الى جانبهما كلبا ، رمز الوفاء والاخلاص ، وهو ينبح كأنه يشارك الاب في توبيخه للابن واستنكار ما فعله •

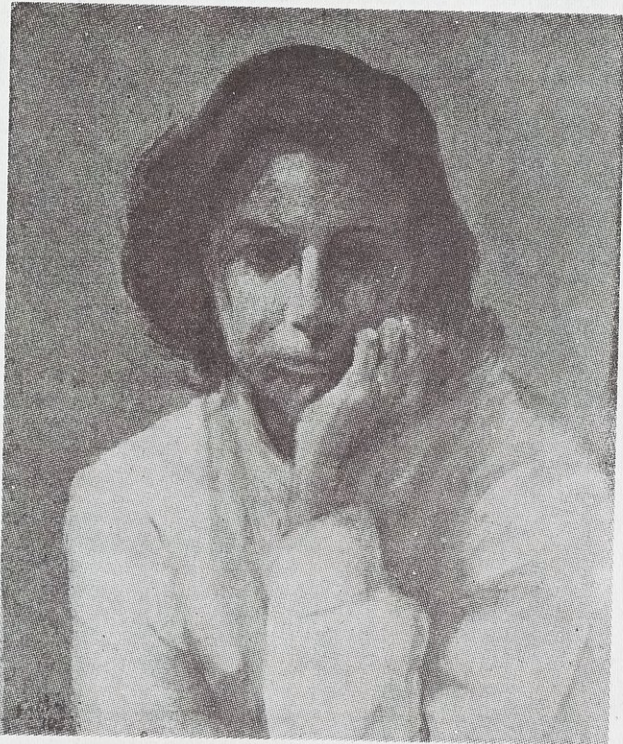
ولا تقل مهارة وموهبة فتحي في فن التصوير الزيتي عنها في فن النحت فلدينا في متحف الفنان مجموعة من اللوحات الزيتية التي صورها أثناء دراسته تحت اشراف الاستاذ سيفيرو (شكل رقم ١٢) •



شكل رقم «١٢»

وهي دراسات لنماذج عارية في الاكاديمية ، وتمتاز بلمستها
الناعمة ، وقوة الملاحظة مع حساب دقيق للابعاد في المنظور
والتشريح ، وهي تنطق بالحيوية ، من بينها لوحة يمكننا أن
نعتبرها عملا فنيا مميزا اذ تترقق الحياة فيها بشدة حتى يخيل
للرائي أن تحت الجلد الخمري دما يجري ، وتحت النهد
المكتمل رئين تنفسان • فالفنان أبدى في هذه اللوحة « عارية
جالسة » مهارة فائقة الحد من حيث التعبير عن جمال جسد
المرأة وطراوته وليوته ونعومته • رغم قلة الالوان التي كان
يستعملها • ولعل ذلك منشأه انه مثال موهوب فكان لا يرى
في الاجساد سوى الكتل والفراغات فكان يوزعها وينظمها
بلمسات ريشته في براعة في توزيع النور وتدرج الظلال •
ولقد صور الفنان لوحات أخرى ، كانت أقرب الى التعبير عن
خلجات نفسه وهمسات فؤاده وعناصر شخصيته • ولكنها
فقدت بكل أسف ، ومنها لوحة : امرأة تفكر • وهو وجه
انثوي تحمله يد ناعمة ، ويتجلى في تقاطيعه التعبير الحزين
والتفكير العميق الذي كان فتحي يحرص على اظهاره في وجوه
مخلوقاته • (شكل رقم ١٣) - (شكل رقم ١٤) •

انتسب فتحي الى فرع الحفر أيضا في الاكاديمية ، ونال
الدبلوم فيها ولكننا لا نملك الا القليل النادر وكله دراسات



شكل رقم «١٣»

موفقة في هذا الفن الصعب • وقد قام الفنان بعدة دراسات نظرية
أثناء دراسته ، ومنها دراسته عن جذع البليدير (عام ١٩٥٣ -
١٩٥٤) ، ودراسته المسماة : من ميشيل انجلو الى كارافاجيو
(عام ١٩٥٣) •



شكل رقم «١٤»

وكانت رسالته تبحث عن الفنان : انطونيو ما نشيني
(عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤) • وكان فتحي يقضي أوقاتا ممتعة
برفقة ليف من الطلبة السوريين الفنانين • إذ كان يزامله في

المرحلة الاساتذة : محمود حماد ، واسماعيل حسني ، وممدوح قشلان ، وخاصة أدهم اسماعيل الذي قام معه برحلات عديدة الى نابولي وكابري •

وكان فتحي كريما متلافا ، لا يقيم للمال وزنا ، رغم وقوعه مرات عديدة في ضائقات مادية وأزمات حادة • وهو يقول لشقيقه عبد الجليل في احدى رسائله ^(١) : « •• كانت في الحقيقة مشكلة كبيرة ، قضية الافلاس التي عانيتها في الايام الاخيرة والتي جاءت في أخرج الظروف • وانني لاشعر بلذة ما بعدها لذة كلما تذكرت تلك الايام العصيبة التي كنت أجتاز فيها قاعة الامتحان وقد قطعت روما من أقصاها الى أقصاها مشيا على الاقدام بغية الوصول في الوقت المعين ، ويدي فارغة وبطني خاوي » •

الا ان تلك الحال لم تكن تبعث اللذة في نفسه على الدوام فهو يقول في رسالة أخرى ^(٢) : « لا أخفي عنك قلقي واضطرابي الشديدين في المدة الاخيرة ولا أنكر العوارض العصيبة التي أخذت تتابني حتى أصبحت أخشى خطرها على نفسي ، وقد صرحت بذلك منذ يومين لصديقي الاستاذ أدهم اسماعيل فراقني ولم يعد يتركني » •

(١) روما في ١٨-٨-١٩٥٤ •

(٢) روما في ١١-٤-١٩٥٤ •

وأخيرا وجد فتحي حلا لدائه فأخذ يودع نقوده لدى
أدهم اسماعيل كلما استلمها ، ويعطيه هذا المال بالتقسيط كي
لا ينفقها دفعة واحدة جريا على عادته (١) .

وكان من أصدقائه أحمد الرحبي قنصل سوريا العام في
روما . وقاما برحلات عديدة الى سويسرا وشمالى ايطاليا .

وكان في روما كاتب وناقد ايطالى وصديق حميم للعرب
وقضايا العرب وهو : فيتوريو كوريل الذى كتب يدعو الفنانين
العرب الى اقامة معرض خاص بهم . وكان كوريل رئيسا
لجماعة المارجوتيافي وهى تضم لفيفا من أقدر الفنانين والكتاب
بروما . فاشترك هؤلاء بهذه الدعوة . وكانت الفكرة التى
يرمون اليها وهى اظهار المقدرة الفنية للمصورين والمثالين
العرب الذين كانوا في ايطاليا ، وسرعان ما اهتم بالفكرة وهرع
للاشتراك بها الممثلون الدبلوماسيون لمصر والعراق وسوريا
بالاضافة الى الاستاذ عبد القادر رزق مدير الاكاديمية المصرية
للفنون الجميلة بروما .

وتقدمت بلدية روما فشملت المعرض برعايتها كما وضعت
منظمة السياحة للبلدية تحت تصرف المشرفين على المعرض

(١) عن أدهم اسماعيل .

ثلاث قاعات كبيرة من قصر بورغيزي الشهير بطابع القرن السادس عشر الذي يقع في أهم شوارع روما الرئيسية • وأقيم المعرض من ١٠ نيسان عام ١٩٥٤ حتى الثلاثين منه •

واحتفل بافتتاح المعرض بحضور عمدة روما وممثلي السلطات الايطالية وعديد من السفراء والوزراء المفوضين للبلدان العربية وكثير من ممثلي الهيئات الدبلوماسية وممثلي وزارة الخارجية الايطالية بمجلس الوزراء ومندوبي مركز العلاقات الايطالية العربية بروما وجمع غفير من الفنانين الايطاليين والاجانب علاوة على جمهور غفير من مثقفي روما وهواة الفن فيها • واشترك في المعرض ثلاثة وعشرون فنانا عربيا منهم : عبد الفتاح الكيال ، ومصطفى متولي وسيد عبد الرسول مرسي وغيرهم من مصر • وفرج النعمان وخالد الرحال وعبد الكريم من العراق • وأدهم اسماعيل واسماعيل حسني وممدوح قشلان ومحمود حماد وفتحي محمد من سورية •

وعرض فتحي سبعة عشر عملا فنيا (١) من بينها تمثال

(١) وهي موزعة كما يلي : ثلاثة تماثيل من الجص • ميداليتان • خمسة أعمال من الطين المحروق • رسم بالاقلام الطباشيرية ، مونوتيب ، اثنان • لوحتان زيتيتان • نحتان بارزان • وكلها تقريبا محفوظة في متحف فتحي محمد بحلب •

المفكرة والعارية (وقد سبق أن تكلمنا عنها) أما التمثال الثالث فهو : فضول •

وفي بعض الاعمال التي عرضها فتحي ما يمثل المرحلة الثالثة من تطوره الفني في فن النحت (من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٨) وفيها نلمس بوضوح اعتناق فتحي من الاساليب الاكاديمية وانطلاقه في البحث عن اسلوب يتجاوب مع نفسه وذاته • ومن هذه التماثيل : الموجة ، وهو رمز لمعركة الحياة وتعايق سلبيتها وايجابيتها وتعاطف الجنسين فيها • اذ يبدو اليم وقد انشق فانبتق منه شبح شاب يحمل على ذراعيه جثة فتاة استرخى جسدها ، وتناولت أعضاؤها ، واتصلت خطوط جسمها مع الموجة وتلاحمت رعشاتها في انسياب دوراني لطيف ، يؤكد دقة الفنان واهتمامه بمظهر التمثال من كل زاوية • والاسلوب في التمثال ، خشن اللمسة ، رائع التعبير ، وحشي القسمات ، وكأنما هو الصدى البعيد لتمثال بيتا لميكيل انج • (شكل رقم ١٤)

وفي قطعة (الخريف) خطا الفنان خطوة جريئة جدا نحو الفن المعاصر ، ولامس حدود مشكلته الكبرى التي يعانيتها اليوم الا وهي : الفن التجريدي • فهي تجسيد للمعنى التجريدي للخريف اذ نجد خيوطا شعشاء في دوامة من أعاصير الخريف ،



شکل رقم «١٥»

تتطير أوراقه الميتة متناثرة ، وتتراكض سحبه القاتمة • فهو
الخریف بروحه دون صورته • وهو خلاصة معناه دون تجميده •
والايحاء الى ما يبعثه الخريف في النفوس دون تصويره بشكل
واضح ظاهر • (شکل رقم ١٥) •

ولقد لاقى هذا المعرض استحسانا كبيرا ، عدا عن كونه
تظاهرة فنية رائعة فقد كان دعامة حسنة للعرب وللفنانين العرب
في بلاد ، للصهيونية فيها نصيب كبير من النفوذ والشهرة •
انتهت مهمة فتحي الدراسية ، وبدأ يستعد للعودة ،



شكل رقم «١٦»

وللبداء باداء مهمته الفنية في بلاده • وراح يودع أساتذته وأصدقائه • واجتمع فتحي بأصدقائه في احدى المقاهي • وكان هناك أدهم اسماعيل والفنانة المصرية ليلى سليمان وفنان تركي يدعى سعدان • وراح الاصدقاء يسترجعون الذكريات ويتكلمون بحماس عن المستقبل وآمالهم ومشاريعهم • وعز عليهم فراق فتحي • فتعاهدوا على الاجتماع في الفاتيكان قرب المسلة المصرية ظهرا بعد عشرين عاما (أي في عام ١٩٧٥) وكتبوا بذلك

صكا أقسموا فيه بالشرف على التمسك بالوعد المقطوع • ثم
قسموا الصك الى أربعة أجزاء واحتفظ كل منهم بجزء (١) •

وبدأ فتحي يحزم أمتعته استعدادا للرحيل ، ووضع عددا
غظيرا من أعماله في صناديق ، أودعها كأمانة في دار السفارة
السورية بروما • وترك البعض الآخر في الاكاديمية وفي منزله
لانه لم يكن يملك المبلغ الكافي لشحنها (٢) وفي ٢٤ تشرين أول
عام ١٩٥٤ استقل فتحي الباخرة اسبيريا • وبدأت هذه تتعد
عن الشاطئ الايطالي • عن أماكن عاش فيها ، وعن أشخاص
أحبهم وذكريات ستبقى في ذاكرته ما دام حيا •

(١) عن أدهم اسماعيل •

(٢) ظلت تلك الآثار في روما حتى عام ١٩٦٠ اذ قامت مديرية الفنون
التشكيلية في وزارة الثقافة والارشاد القومي بشحنها الى حلب لحفظها في
المتحف المعد لفتحي •

الفصل الخامس

الخدمات في وطنه

نام عن سكرة الحياة وقد جف
شراب السلوان من اكوابه
بسمات الرضى على شفثيه
وشتات الرؤى على اهدابه
عمر ابو ريشة

« حسب أمركم وتنفيذا لقرار المجلس البلدي الموقر
عدت من روما بعد أن أكملت دراستي بنجاح تام أطلعتكم عليه
في الشهادات والمصدقات الرسمية التي بعث بها تباعا بواسطة
المفوضية السورية بروما • والتي تفضلتم بحفظها في اضبارتي
الخاصة وذلك تنفيذا لتعهداتي التي تنص على قيامي بخدمة
البلدية ثلاثة أضعاف المدة التي قضيتها في الدراسة على نفقتها •
وانني على استعداد تام للقيام بهذه الخدمة حالا اذا رغبتم في

ذلك • أما الاستديو الذي أنوي اقامته لدى البلدية فهو المكان الذي سوف أزاول فيه مهمتي الفنية التي تتطلبها البلدية من رسوم أعالج بها مواضيعنا القومية وزخارف معمارية وتماثيل تذكارية تقام في الميادين العامة ، والتي من أجلها تم التعاقد بيني وبين بلدية حلب •• وعلى هذا :

١ - اقترح على بلديتنا بصفتي المسؤول عن مستقبل هذه المؤسسة المنتظر انشاؤها بتسميتها (متحف الفن السوري الحديث) نظرا لما ستحويه هذه المؤسسة في صالة العرض الدائمة وفي القاعات المباح الدخول اليها من منتجاتها الفنية الحديثة ومن مقتنياتها التشجيعية لمختلف الفنانين والفنانات السوريين المعاصرين ممن يعالجون حياتنا الاجتماعية ويعبرون عن ماضينا المجيد تعبيرا صادقا وصحيحا تماشيا مع رغبة البلدية واقترنت أعمالهم بالتفوق في الاوساط الفنية العالمية ، كأمثلة لزوار المتحف ورواده من مواطنين وأجانب وفنانين وفنانات وأساتذة وطلاب وسواهم •

٢ - واقترح تسليمي الادارة العامة لهذه المؤسسة الاولى من نوعها بسورية ويكون لديها المخصصات الكافية للاستعانة بذوي الاختصاص من اداريين وفنيين •

وفيما يلي وصف عام للاستديو الذي أنوي اقامته وجدول

عام للاوائل الضرورية وبعض المواد أضعه بين أيديكم راجيا موافقتكم (١) .

وبعد فترة من الزمن عين فتحي أثناءها بوظيفة مساعد فني ممتاز ، تألفت لجنة لدراسة التقرير فوافقت عليه ، وأحالته الى المجلس البلدي . الذي أصدر قرارا بالموافقة رقم ١٦٩ وبتاريخ ٢٤-٢-١٩٥٥ مع رصد مبلغ خمسة عشر ألف ليرة سورية لتحقيق المشروع كما صدر في التاريخ ذاته قرار عن رئيس بلدية حلب تحت رقم ٢٥٤ بتعيين فتحي بمرتب شهري قدره خمسمائة ليرة سورية ، ووضعه تحت اشراف رئيس الدائرة الفنية بانتظار تحقيق المشروع .

وفي الثاني والعشرين من نيسان عام ١٩٥٥ اغتيل العقيد الركن عدنان المالكي . فقررت الاركان العامة للجيش السوري اقامة ضريح له يتناسب مع مكانته وأهمية مركزه . ثم تبين انه من الضروري اقامة آبدية مع تمثال للفقيد ليبقى أمام أعين المواطنين شاهدا على مدى ما يبذله الشعب من دماء من أجل حريته واستقلاله .

وعندئذ قررت الشعبة الثالثة في الاركان العامة استدعاء الفنان فتحي محمد للقيام بهذا العمل ، وتحقيق هذا المشروع

(١) حلب في ١٦-١١-١٩٥٤ .

الكبير بناء على اقتراح من الاستاذ سليمان العيسى • فأرسلت
الى بلدية حلب لوضع الفنان تحت تصرفها طوال الزمن الذي
يستلزمه تحقيق المشروع ، ووافق المجلس البلدي على الطلب
في قراره رقم ٣٢١ بتاريخ ٣١-١٠-١٩٥٥ •
وذهب فتحي محمد الى دمشق ، (شكل رقم ١٦)

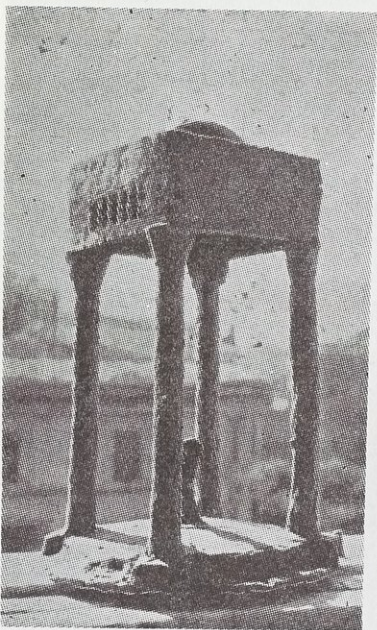


شكل رقم «١٧»

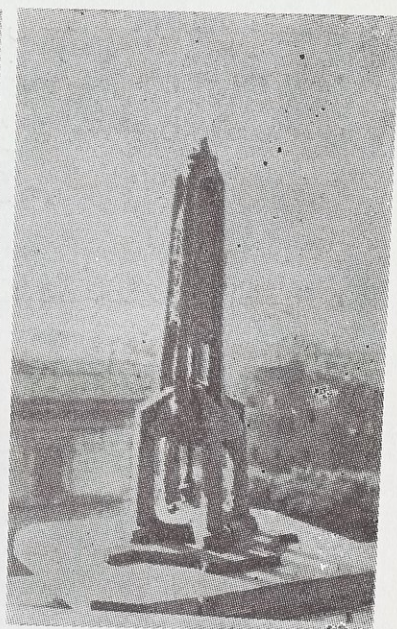
وانكب يدرس المشروع بحماس شديد ، وجمع عددا كبيرا من صور الشهيد الفوتوغرافية ولم يكن قد رآه قط . واستقصى أخلاق العقيد وعاداته من أصدقائه وأقربائه وزملائه ، فنوضحت الصورة في مخيلته ، وأقبل على عمله تدفعه موهبته الرائعة وخياله القوي .

وصنع مشروعين للآبدة : أحدهما شرقي الطراز ، مستوحى من فن العمارة العربي ، فهو قبة على قاعدة مربعة تحملها أربعة أعمدة ، والآخر تجريدي حديث الاسلوب ، يعتمد على الخط المستقيم والشكل المدبب الموجه الى الاعلى رمزا للعلاء والسمو . كما صنع ثلاثة تماثيل صغيرة الحجم ، وبالحجم الكامل للفقيد بملابسه العسكرية وفي أوضاع مختلفة . وقدم هذه الاعمال كلها الى رئاسة الاركان لدراستها والموافق عليها . ولكن تكاليف الآبدة كانت كبيرة حسب تقدير الخبراء اذ تجاوزت نصف مليون ليرة سورية فوجد انه من الافضل الاكتفاء باقامة تمثال على قاعدة تنقش عليها نبذة من سيرة الفقيد . وينصب التمثال في مركز الساحة المواجهة للضريح (شكل رقم ١٧) - (شكل رقم ١٨) .

واختارت رئاسة الاركان التمثال الذي يمثل الفقيد وهو يتقدم بخطوات جريئة واثقة الى الامام ، استوحاها الفنان من



شكل رقم «١٩»



شكل رقم «١٨»

صورة للفقيد وهو يصعد سلم نادي الضباط في دمشق وعلى شفتيه ابتسامة عذبة وفي عينيه تصميم وعزم *

ثم صنع تمثالا نصفيا بالحجم الطبيعي ، درس فيه تقاطيع وجه الفقيد (شكل رقم ٢٠) ، وأبرز فيه المعاني السامية والاخلاق العالية التي كان يتمتع بها الشهيد المالكي * وجاء

تمثاله قطعة نادرة من الدقة في ابراز الملامح والتعبير النفسي^(١) . وكانت الاركان العامة قد خصصت للفنان مكانا بجانب قصر الضيافة عند مدخل ثكنة التسليح^(٢) فكان يعمل فيه يساعده حجار دمشقي اسمه (خليل) وهو الذي قام بنقش صورة الفقيد على المرمر نقلا عن نحت بارز صنعه الفنان ، وساعده في ذلك تلميذته الآنسة بيانكا . والنحت البارز موجود حاليا في الضريح .

وكان المشغل الذي يعمل فيه فتحي بمثابة مدرسة فنية صغيرة ، اذ كان يرتاده الادباء والصحفيون والفنانون والهواة الذين أقبلوا على الفنان يشاهدونه وهو منغمك في أعماله الفنية . وأصبح التمثال حديث الصحافة ، فنشرت مقالات عديدة عن الفنان والتمثال ، وأبرز الكتاب فيها صفات الفنان ومقدرته ونبوغه ، وأثنوا على نشاطه وعمله المبدع . ومنها مقالات في جريدة الرأي العام والطليلة وفي مجلة الجندي وفي مجلتي الآداب والرسالة اللبنايتين . والوطن في حلب . ومضى فتحي في عمله ، فصنع تمثالا كبير الحجم بارتفاع

(١) توجد في المتحف الحربي بدمشق نسخة عن التمثال . وثمة نسخة أخرى لدى عائلة الشهيد .

(٢) هدم المكان المذكور . ولم يبق له حاليا أي اثر .

٣٨٠ ستمترا تقريبا فجاء قطعة رائعة من التعبير الفني والمقدرة

♦ التقنية



شكل رقم «٢٠»

وكان من بين الهواة الذين داوموا على مدرسته الآنسة
بيانكا سيلفترلي ابنة قنصل ايطاليا بدمشق التي كانت على قسط

وأفر من الدمائة والموهبة الفنية اذ انها لم تلبث بعد فترة من الزمن ان اتقنت التصوير الزيتي وفن النحت أيضا فصنعت تحت اشراف أستاذها فتحي تمثالا للمالكي عاري الرأس • وتمثالا آخر لرجل اندفع الى الامام بحركة قوية وتعبير عنيف • ونشأت بين التلميذة الموهوبة وبين استاذها صداقة عميقة وتفاهم وود ظل حتى بعد سفر الأنسة بيانكا برفقة والدها الى تشيكوسلوفاكيا • وظل الفنان يرسلها ويحتفظ لها بعواطف المحبة والمودة • (شكل رقم ٢١) •



شكل رقم «٢١»

وفي المشغل نفسه صنع الفنان تمثالا للسيدة ليلي القوتلي^(١) وكان من عاداته دائما ان يشجع الموهوبين على مزاولة الاعمال الفنية • وهكذا فقد كان يدفع السيدة القوتلي الى الاشتراك بصنع تمثالها بالذات •

كما اشرف على صنع تمثال على الشاطيء الذي قدمته السيدة منور مورهلي في معرض رابطة الفنانين السوريين عام ١٩٥٧ •

كان فتحي يساهم في الحركات الفنية ، ولا يرد طلبا أو يخيب رجاء ، فعندما أقام النادي الموسيقي في اللاذقية معرضه السنوي للتصوير والنحت • كان فتحي من أعضاء لجنة التحكيم التي اجتمعت في الثاني من نيسان عام ١٩٥٥ • ومنحت الأنسة أوديل فيتالي الجائزة الاولى للتصوير الزيتي ، وكان أيضا من أعضاء لجنة التحكيم في معرض الفنون الجميلة عام ١٩٥٦ • هذا المعرض الذي كانت تقيمه وزارة المعارف السورية كل عام في متحف دمشق الوطني • وتمنح ثلاث جوائز مالية للمتفوقين في فن النحت وفن التصوير • ونال الجائزة الاولى في ذلك العام برهان كركوتلي في التصوير ، ومروان قصاب باشي في النحت •

(١) التمثال موجود حاليا لدى السيدة القوتلي بدمشق •

وصنع أيضا خمس لوحات من الجص النافر ، ترمز الى صناعة النسيج والسكر والزجاج والكنسروة وزراعة القطن في سورية • وذلك من أجل تزيين مدخل جناح الصناعات العربية في معرض دمشق الدولي • ولقد اجرى تركيبها وعرضت خلال عامي ١٩٥٧ و ١٩٥٨ • وما تزال اللوحات الخمس موجودة لدى مديرية معرض دمشق الدولي •

واستمر فتحي في عمل تمثال المالكي حتى انتهى من التمثال وصنع القالب • وكان من المتفق عليه أن يرسل القالب الى ايطاليا لصبه من البرونز لعدم وجود امكانيات كافية في البلاد •

كان فتحي يستشعر في قرارة نفسه بخطر مبهم غريب ، وبقلق واضطراب عميقين • وكأنما كان شبح المنية يدور حوله مهددا متوعدا •

وكان « في خلال ذلك يبذل الوعود على ثقة بان سيخلفها وتولد لديه خوف عميق من أن يمنع من اكمال التمثال • فكلما رأى المسؤولين يلاحقونه ويستعجلونه • زاد الخوف رسوخا في نفسه وأمعن في بذل الوعود • كانت تلك احدى علله الكبرى • انه لا يعرف كيف يعامل الناس • لا يهمه من الحياة فيها • يهمه انه فحسب • فمثله لم يكن يستطيع أن

يعيش عيشة كريمة في مجتمع ما يزال يتخبط في ظروف قاسية - ان مثله انما ولد للعذاب ، للحياة المرة ، ولد ليشقى^(١) .»

وكان فتحي يشكو من أمعائه وأمراضها • فاضطر بسبب دائه الذي كان يزداد استفحالا مع مرور الزمن • ولاسباب أخرى • ان يترك دمشق فجأة ، ويذهب الى حلب •

وهناك كان دأؤه قد ازداد وامعن في بث سمومه الفتاكة في جسد الفنان • ونصححه الطبيب بدخول المستشفى لمراقبة تطور مرضه • والتدخل جراحيا حين اللزوم • فدخل مستشفى القديس لويس في الثامن من آذار عام ١٩٥٨ • في المكان نفسه حيث يشاهد الزائر حتى اليوم تمثال الطبيب شفالبيه الذي صنعه منذ أربعة عشر سنة •

وتم اجراء الفحوص المخبرية والصور الشعاعية تحت اشراف الطبيين المرحوم هنري فريشو وكميل عريس اللذين قررا أن تجرى له عملية استئصال المعاء المستقيم لانه كان مصابا بالسرطان •

وأجريت العملية في السادس والعشرين من آذار ، ونجحت ، ولكن المستقبل كان خطرا لان الداء الخبيث كان

(١) من مقال تاييني لصلاح دهني •

قد وصل الى الكبد وانشب برائته السامة فيه • وامعن تخريباً
وتهديماً •

وظل الفنان في فراشه فترة من الزمن • وقد عاد اليه
الهدوء والراحة وكان يستقبل الزوار من أقبائه وأصدقائه ،
ويروي لهم القصص الطريفة والنوادر الطريفة ، ويصورهم
تارة ، ويمازحهم تارة أخرى •

ولكنه في مساء الخامس عشر من نيسان عام ١٩٥٨ استيقظ
فتحي فجأة على ألم عنيف في بطنه فراح يتلوى يمناً ويسرة
وقد تضائل تنفسه وتصبب العرق البارد على جبينه وسقط على
الأرض مغمى عليه ، وراح في غيبوبة عميقة •

ولم يفده الاسعاف والعلاج ، وقضى نحبه في اليوم التالي
ظهراً (١٦ نيسان ١٩٥٨) وعمره لم يجاوز الواحد والاربعين
وشيع جثمانه في اليوم نفسه نقر ضئيل ممن تنهى اليه الخبر •
ودفن تحت وابل من المطر المنهمر في مقبرة ابراهيم هنانو •
قرب مدرسة التجهيز الذي درس فيها وذاق طعم النصر الفني
لاول مرة ، وقرب حي المشاركة حيث ولد ونشأ وترعرع •

ولم يلبث أن شاع الخبر وتناقلته الالسن والاقلام
وخطوط البرق فنزل كالصاعقة على أصدقائه فتركهم في ذهول
وحيرة وألم بالغ • ثم انطلق الكتاب والفنانون ينشرون الخبر

على صفحات الصحف والمجلات ويسردون قصة الفنان وما آثره •

وهكذا توفي فتحي • • فهوى نجم وضاء من نجوم الفن في سماء العروبة وتوارى الى الابد وجهه الاسمر الحبيب فترك في قلوب زملائه وأصدقائه وكل من عرفه جرحا لا يندمل ، وألما عميقا لا يندثر ، وذكرى لا تمحوها الايام • اختفى الفنان فتحي ولما بدأ مجده العظيم بعد • المجد الذي كان ينتظره حتما لو قدر له أن يعيش ، والذي كان يؤمن الجميع به ، ايمانا قويا ، ويعتقدون به اعتقادا راسخا •

وتشكلت في حلب لجنة لتأبينه دعت الى المساهمة باقامة حفلة تأبينية كبرى • وفي الثلاثين من شهر أيار (مايو) عام ١٩٥٨ • أقيمت الحفلة التأبينية في دار الكتب الوطنية بحلب ، افتتحها المحافظ اسماعيل القولي بكلمة ثم مدير التربية والتعليم وتلاههما الدكتور عبد الرحمن الكيالي وعدد غفير من الادباء والفنانين ، ثم قرئت برقيات كثيرة من مختلف الهيئات والجمعيات الادبية والفنية • كما قرئت رسالة من أستاذه ميشيل غويريزي الذي قال : « كم كان جميلا أن يبقى فتحي ليتابع فنه الذي كان يبشر بمستقبل باهر • • ان بلاده ستفخر بكونها أنبته • • انك الآن قد تواريت يا عزيزي فتحي في تراب بلادك الجميلة سورية البلاد التي وعت الكثير من

الذكريات والامجاد الخالدة • تحياتي الابدية اليك مقرونة
بالذكريات العذاب » •

واختتمت اللجنة الحفلة فطالبت بالامور التالية :

- ١ - العمل على جلب آثار الفقيده من ايطاليا •
 - ٢ - المطالبة بفتح معهد للفنون الجميلة توضع فيها آثار الفقيده
وتعتبر كنواة لمتحف الفن الحديث •
 - ٣ - اقامة نصب تذكاري للفقيده في احدى ساحات حلب بعد
الاتفاق مع بلدية حلب ونقابة المهندسين لوضع تصميم
للنصب المذكور •
 - ٤ - طبع كتاب تشر فيه آثار الفقيده وتمائله وتعرف بسيرة
حياته الى الاجيال العربية الصاعدة •
- ولقد ظلت هذه المطالب مجرد امنيات صعبة التحقيق حتى
أحدثت وزارة الثقافة والارشاد القومي فحققت كل هذه
المطالب • اذ جلبت أعماله من روما وجمعت أعماله الاخرى
المبعثرة في سورية وحفظتها في متحف خاص به يحمل اسمه
في مدينة حلب وفي أجمل شارع فيها (شارع بارون) (١) •
والحق المتحف بمركز الفنون التشكيلية وهو بمثابة مدرسة

(١) احتفل رسميا بافتتاح المتحف في ٢٦-٢-١٩٦١ •

حرة يدرس فيها فن التصوير على اختلاف أنواعه وفن النحت
كما تلقى فيها الدروس والمحاضرات المتعلقة بتلك الفنون •
ولقد بدأت بإقامة نسخ برونزية لتمائله فصنعت نسختين من
البرونز لتمثال ابي العلاء المعري وستقام احدهما في دمشق
والاخرى في مدينة الفيلسوف : معرة النعمان •

كذلك فهي جادة في اخراج فيلم سينمائي يقص حياته
ويعرض أجمل أعماله الفنية لتقديمه في دور السينما وفي
التلفزيون ليتسنى لأكبر عدد من الناس الاطلاع على سيرة
الفنان والتعرف على أعماله •

وها هو ذا الكتاب الذي يسرد حياته ويقدمه الى مواطنيه
وأبناء أمته •

فالوزارة بذلك قد أدت خدمة جلى للفقيد ، وأجابت كل
ما كان يتمناه أصدقاء الفنان ومعارفه وهواة فنه ، وحفظت
ذكراه وأعماله الى الابد •

الآثار الفنية المحفوظة في متحف فتحي محمد بحلب

آ - اللوحات الزيتية

- ١ - عارية جالسة آ
- ٢ - عارية جالسة ب
- ٣ - عارية واقفة آ
- ٤ - عارية واقفة ب
- ٥ - ذات القبعة الصفراء
- ٦ - امرأة تفكر
- ٧ - رأس امرأة
- ٨ - القراءة
- ٩ - عارية جالسة ج
- ١٠ - ماريا
- ١١ - عارية واقفة ج
- ١٢ - عارية متمددة
- ١٣ - ظهر عارية
- ١٤ - امام المرأة
- ١٥ - عارية واقفة د
- ١٦ - عارية جالسة د
- ١٧ - عارية جالسة هـ

ب - مونوتيب

- ١ - الفارابي - لون اسود
- ٢ - موسى ينقذ من النهر - لون اسود
- ٣ - أمواج - لون اسود
- ٤ - شاعر - لون اسود
- ٥ - السمراء - لون اسود
- ٦ - وجه - لون احمر
- ٧ - أبو نواس - لون احمر

ج - التماثيل

- ١ - رأس فتحي - من عمل زميل ايطالي للفنان - جص ابيض
- ٢ - عارية تفكر (المفكرة) - جص ابيض
- ٣ - عارية تبسم (جمال العاري الموث) - جص ابيض
- ٤ - الخياط - قناع من جص مدهون بلون البرونز
- ٥ - الوجه - دراسة كاملة صغيرة من الجص المدهون
- ٦ - فضول - من المدرسة الحديثة - جص مدهون
- ٧ - يد - مطبوع من الجص
- ٨ - امرأة جالسة - من المدرسة الحديثة
- ٩ - الخريف
- ١٠ - الدكتور غابرييل شوفاليه - تماثيل نصفي من الجص
- ١١ - الموقد - جص مدهون باللون الاخضر

د - الميداليات

- ١ - رجل يمشي - عاري - جص
- ٢ - رجل جالس آ - جص
- ٣ - امرأتان عاريتان - جص
- ٤ - رجل واقف آ - جص
- ٥ - رجل واقف ب - جص
- ٦ - جذع البلقدير - جص
- ٧ - قالب جذع البلقدير - جص
- ٨ - عارية واقفة آ - جص
- ٩ - عارية جالسة آ - جص
- ١٠ - عاريتان جالستان آ - جص
- ١١ - عارية واقفة ب - جص
- ١٢ - رجل يتحفز - جص
- ١٣ - على البركة (مستديرة) - جص
- ١٤ - عاريتان واقفتان آ (مستديرة) - جص
- ١٥ - الغفران قالب مستدير - جص
- ١٦ - عاريتان جالستان ب - جص
- ١٧ - عاريتان واقفتان ب - جص

ملتزم الطبع والنشر
الفرن الحديث العالمي

ثمن النسخة (١٠٠) قرشاً سورية أو ما يعادلها

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

فنون

وصناعات

ومشقية

منيركيال

السلسلة الفنية

٢٥